منارات
manarat

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير
فخري كريم

ملحق ثقافي اسبوعي يصدر عن جريدة المدى

العدد (1778) السنة السابعة - السبت (24) نيسان 2010

2

بابلو نيرودا: الايام الاخيرة

10

ذاهبون الى القصيدة الى بابلو نيرودا

نيرودا

بابلو نيرودا:

الأيـــــــــام الأخـــــــــيرة!

فرناندو أليغيريا
ترجمة سحر أحمد

أجدُ من الصعوبة أن أكتب عن بابلو نيرودا لأبدد حزناً خاصاً، أو أزيح ثقلاً شديداً عن القلب. وأخشى أن أثير حزن القارئ، لكنني أعلل النفس بأنه يتفهم صعوبة الأمر، وعسى أن لا يجد في كلامي مجرد حداد على الميت، بل رؤية لمعركة فريدة، يخرّج فيها الموت خاسراً.

منذ أيام خلت، في مدينة سانتا برباره المشمسة التي تعصف بها رياح البحر، شاركتُ في حفل العزاء الجميل الذي أقيم لتأبين نيرودا. ترأس الحفل الأستاذ كينيث ريكسروث، الذي تحدث بصوت هادئ جليل، فكان يناغم كلماته مع هدير البحر، وعزف الجوق الموسيقي الصغير، الذي كانت أنغامه تتفجر صعوداً ونزولاً كلما هبت الريح. فكرت بما سأقوله لهذا الجمع من الطلاب والأساتذة الذي سحرته الأنغام في شعر نيرودا، وارتوى من شعوره الفياض لشيلي، وحبه العميق لماتيلدا.

قلت ببساطة أن نيرودا حاضرٌ بيننا. أراه باسماً، هادئاً في سيره، أو محلقاً أحياناً، يصغي إلى الريح والكلمات، إلى صرخة النورس العالية. ينظر إلى ذاك المتسابق هناك، يعدو بسرواله القصير في نهاية المضمار. يتوقف قليلاً لينظر إلينا مذعوراً، ويمضي في سبيله. إنها الحقيقة، فنيرودا مثل ذاك الميت في قصيدة الشاعر فاييخو لم يمت حقاً. سيموتُ معنا، في كل حركة من حركات عصرنا، موتاً شاملاً، عميقاً ذا دلالة واضحة. سيموت أولاً هنا، ثم هناك، ثم في الأبعد. سيموت في نفسي، ثم في الآخرين رجالاً ونساء، من دون إيقاع واضح، ولكن مع إيقاع الفصول، والبحر، والنجوم، والشجر الذي ينمو بكل هذه الأشياء ويكبر، يستريح من حياته، يتنفس أخيراً كلَّ الأجواء، وكل الأتربة، وكل الأزمان. تلك هي عناصر موته.

لذا، أريد قبل أن يطول بنا الوقت، أن أسجل بعض الملاحظات عن الصديق الذي أحببته، والشاعر الشجاع الذي واجه أخيراً حقيقةَ موته مسربلاً كعادته ببساطة وصعوبة ساحرتين. والمهم بالنسبةً إليَّ أن نيرودا أستطاع في موته السريع أن يغير حقيقة الموت إلى فعل مضاد في غاية الروعة والرهافة، إلىً تلميح وجرأة واستحياء ووجع وسكينة.ً ودليلي على ذلك مزدوجٌ، أولهُ القصائد العشر التي نشرها نيرودا في مجلة "الأزمة"، في آب ١٩٧٣. وثانيه اللقاءات بيننا في آب ١٩٧٢ ، وأيلول ١٩٧٣. تلك الأيام التي كنت أراه فيها يسافر من باريس إلى نيويورك، ومن نيويورك إلى سانتياغو وجزيرة العبد، ثم يعودُ إلى سانتياغو، تلك الرحلة من الإبتسام إلى قناع الموت.

× × ×

أول ما تجدر الإشارة إليه ترتيب تلك القصائد. يبدأ نيرودا بقصيدة "تكافلات"، وينتهي بقصيدة "أغنية حب". يُرسل إلى رئيس تحرير المجلة ملاحظاته بطبع القصيدتين بحروف مائلة. هكذا صادقت على شهادة وفاة نيرودا اثنتان من قصائد الحب، وكأنهما الميدالية التي يصادق وجهاها، الصورةُ والظل، على الحياة ويؤكدانها. والثاني أننا كنا في نيويورك، وكانت معنا زوجته ماتيلدا، كذلك زوجتي كارمين. كنا نسكن غرفتين متجاورتين في الفندق، وكنت أعرف أن نيرودا مصابٌ بمرض عضال كان قد عُولج منه في باريس، لكنه يرفض الحديث عنه، غير أن حالته الصحية واضحة تكشفها بعض التفاصيل الثانوية. كنا نأكل ونشرب بخبرة منحنا إياها وطننا الأصيل، وبشراهة لالتهام الدنيا بأفعال عنيفة وصامتة.ً وكانت ماتيلدا تُعنىً بزوجها برقة، لكن بحزم.

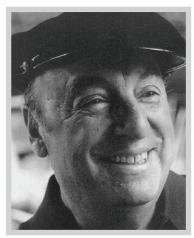

اول ما تجدر الإشارة إليه ترتيب تلك القصائد. يبدأ نيرودا بقصيدة "تكافلات"، وينتهي بقصيدة "أغنية حب". يُرسل إلى رئيس تحرير المجلة ملاحظاته بطبع القصيدتين بحروف مائلة. هكذا صادقت على شهادة وفاة نيرودا اثنتان من قصائد الحب، وكأنهما الميدالية التي يصادق وجهاها، الصورةُ والظل، على الحياة ويؤكدانها. والثاني أننا كنا في نيويورك، وكانت معنا زوجته ماتيلدا، كذلك زوجتي كارمين. كنا نسكن غرفتين متجاورتين في الفندق، وكنت أعرف أن نيرودا مصابٌ بمرض عضال كان قد عُولج منه في باريس

سرعان ما صرنا نعتني به جميعاً، وجاءت خاتمة ذاك الرجل الذي قال مرةً: "ما زالت هناك خطوةٌ ،" في مقصف الفندق. لم يقل شيئاً. حدث فصلٌ مريع في عيادة الأسنان، بعدها استأجرنا سيارةٌ وذهبنا لشراء المحار. انتهى النقاش نهاية غير متوقعة. يشيخُ المرءُ، طبعاً يشيخ. لا حاجة لتذكيره بذلك. نظرة من أحدهم كافية، كلمة أو إيماءة. قال نيرودا: "يبدأ الموتُ بالساقين." تبادلنا النظرات. كلانا يعرف أن مثل هذا الموت لا يبدأ من الساق. لا أدري تماماً لماذا إدّعى نيرودا لاحقاً في جزيرة العبد أنه يعاني من روماتيزم سقيم يلتصق بساقيه كالضباب، ومن دون أن يلمح إلى المرض المستعصي الذي كان يزحف على عموده الفقري وينخر فيه. في صباح الأحد التاسع من أيلول، نصحته ديليا دومنغويث قائلة أن هذا الروماتيزم سيختفي بقدوم شمس أيلول، فأجاب نيرودا بأن الشمس القادمة ستحرقه، وأنه لن يرَ شمس هذا الربيع.

أمسك نيرودا كالرجل الحكيم بالمحارات الرائعة، ولم يبدُ أنه يلتقطها، فكانت تلتصق بأصابعه حين يقلبها ليتفحصها ويقربها من أذنه. يزنها في يده، فتصبح نجوماً وكهوفاً وسماوات وأشواكاً وأجراس وآذان وشفاهاً. يختارها ويصنفها بدقة، ثم يسقط في الكأس قطعةً بحرية أثارت فضوله، ويعيد البقية إلى صندوق الكارتون المبطن بالقطن.

ثالثاً : كنا في صالة الفندق ننتظر قدوم الناشر الأمريكي. رفع نيرودا الكأس عالياً وكأنها حبة بصل شفافة، وقال إنه لا يشرب المارتيني إلاّ في الولايات المتحدة، لأن الأمر لا يكون لائقاً في بلد آخر غيرها. جلسنا ونظرنا إلى السم الفضي الرائق الزعاف في ظل الأضواء التي تنشرها المصابيح القديمة والستائر الحمر. جمدت رؤوسنا، وأصبحت صدورنا كالصفيح. تنفسنا بصعوبة، ونظرة سريعة على أفواهنا تدل على أننا أصبحنا تنينات تتجشأ لهباً صافياً، لكنه سرعان ما ينطفئ. ألقى نيرودا كلمة في نادي الجمعية الدولية للكتاب في نيويورك، وأحاطت به جموعٌ غفيرةٌ. رأيتُ وجهه يشحب والرماد يعلق ببدلته السوداء. أحاطوا به، واندفعوا إليه ليحاصروه في الزاوية حتى غاب وسطهم. هو الآن في صالون صغير مخملي ناعم، تلتف حوله مجموعة طيبة من الأصدقاء، يتنفس ويشرب جرعات من الشمبانيا وكأنه ملاكمٌ فقد توازنه في الجولات الأخيرة. قال آرثر ميلر مرةً أن نيرودا شجرة، وهذه الشجرة الآن تنوءُ في سيرها المتثاقل إلى الحمام، وتمشي بخطوات ثقيلة متعبة. قال يلملم خطاه: "صحتيً مترديةً، وسأعودُ في تشرين الثاني إلى شيلي من دون أن يعرف

أحد." لكن الجميع عرف الخبر.

× × ×

لكننا حين نعود إلى القصائد العشر الآنفة، نجد إثنتين تشيران مباشرةً إلى الموت، وتعكسان بوضوح تأمل نيرودا السري فيه. الأولى بعنوان "حيوانُ الضوء"، وهي اعترافُ الشاعر بعزلته، بالحلقة المسدودة حوله، وبأولئك الذين لن يستطيعوا ملامسة أعماقه بعد الآن. تقاعد الشاعرُ، وانسحب من دنيا الشعر. لا أحد معه غير أمواج البحر والنجوم، وهما صديقان مرهونان بالزمن. لم يبق غير شيء صغير، لكنه شاسع في الوقت نفسه. هرب نيرودا قلقاً، ينوءُ بالمدن التي على منكبيه، وحبال البلدان حول رقبته، لا هرباً من الناس الذين قالوا وفعلوا الكثير، بل من حواره الذي لا ينتهي مع النفس. "لا اكتشافات بعد اليوم". الأمر واضح. "لا قول بعد اليوم". ثم ينهي نيرودا قصيدته ببساطة وحيداً، لا أحد معه غير الصمت وصوت البحر قائلاً : " إنتهى الأمر". تنزل هذه الخاتمة الفادحة ستارةً من حجر. يطفئ نيرودا الأضواءَ بلا تردد. يستعد، وهو ذلك الفاعل العظيم في حياته، للعمل في ذلك الصمت العظيم الذي هو موته.

أما قصيدة "أغنية حزينة لكل المتعبين"، فلعبة إنفرادية، أو هي معادلة الإنجاز العظيم بالبطلان، والساعات بالفراغ. هي تذبذب الرجل المقسوم على نفسه، إنها الإيقاع الخالد للحياة والموت. تتسرب القوة البسيطة الكامنة في الأفكار الرئيسة المتكررة من أصابعه وكأنها حبات السبحة. إبتهال حكيم، وصلاةٌ حزينة، لن ينتهيا بعد اليوم. وفي قصيدة من "كتاب التساؤلات"، أربعة مفاتيح لمعرفة فضول الرجل الأولي البعيد : الفراشة الجاهلة بحروف أجنحتها، والنحلة التي لا تعرف الطريق، والنملة التي لا تدري عدد القتلى في معسكرها، والإعصار الذي نسيَ أسمهُ بعد أن تهدأ الفورة. لا الحب، ولا المعرفة قادران على إجابة الرجل الذي يظلُ ينظر إلى الزمن المدفون، ولا يستطيع المرء الإمساك بالأمل إلاّ وهو محتار على شفا حفرة من الموت :

أو هل ما أرى من بعيدٍ
ما لم أحيَهُ بعد؟

× × ×

وحين يلخص نيرودا تجربته الشعرية، فأنه يعي البعد الشخصي الذي أعطاه للكلمات، ولكن من دون أن ينسى التأثير الذي أحدثته هذه الكلمات في نفسه. يسمي أولاً الأشياء، ثم يحفر خلفها، وينقب في لبابها بحثاً عن الصوت والصدى، عن الفعل السري الذي يبوحُ بكنه الشيء ومعناه. فالـ"عضو" صوت بكرٌ، اسمٌ يبدو وكأنه وُضع جزافاً، لكنه يثبت رمزاً لمعركة الشاعر مع البلاغة، مع لا عقلانية العقل، مع البحث الملتهب عن الكلمة الساحرة التي لا تُخبر أحداً، لكنها توصله إلى مصيره. إنها ردةٌ داخلية، ألماسةٌ في بيدر، زهرةٌ تتفتحُ وتذوي، دفاعٌ عضوي، تيهٌ عضوي، تعاقبٌ عضوي، كلمةٌ خَضراءُ فواحةٌ تهتزُ كالسيف.

يبدو أننا اقتربنا من النهايات المحتمة، ومن توكيدات يتردد صداها في عالم تتكشفُ فيه الرموز القديمة، وتسقطُ ثمارها على الأرض. وقصيدتا "البطل" و "الوضعُ اللا مبرر" هما صورتان لهجوم الموت العنيد الحاقد. والبطل في الأولى رجلٌ يمضي عارياً، فيلسوفٌ صلب لا يلين لدعاوى الناس، تغطيه الحراشف السود. وهو آخر عراة الحضارة العظام، يعكس في عُريه مسيرة التأريخ وكأنه افتتاحية قديمة في صحيفة ميتة. يموتُ على دكة داره بسبب قساوة الشتاء. أما القصيدةُ الثانية، فتُشير إلى عائلة ما، إلى أبناء، أخوة وأخوات. إلى عالمٍ يستولي عليه الأموات ويحتلونه بتفتُ ،شبراً بعد شبر. أمواتٌ وقحون، طفيليون، يقطعون الحرث والنسل، يحرقون الأخضر واليابس. يدخلون أولاً حجرة الجلوس، ويملئون الكراسي، والمناضد، والمطابخ. يقتحمون الحمامات ليصبغوا الجماجم، ثم يطردون الناس الكرماء الصابرين إلى أقصى الحديقة، فيحتمي هؤلاء بشجرة البرتقال. يتسلق الأموات الشجرة، ويتكاثرون على أغصانها بجد ومثابرة حتى لا يبقى لأولئك الناس منْ خيار غير تسليم أنفسهم بقناعة ورضا إلى المقْبرة.

× × ×

ثمة حقيقة أخرى: فالجراحةُ أشراطُ مشرط عقيم. ينتشر الداءُ الحرون كَالزئبَق المراق. وحقيقةٌ أخرى غيرها، فنيرودا، ذلك الطويل القوي المتمهل، المتشامخ الودود في الوقت نفسه، المجبول على الحب العظيم والرقة البالغة، صانعِ السماء والأرض، يبولُ، ويؤكدُ مكابراً، غير مبال، على خروج الدم مع البول. وقصيدةُ "البوّالُ الكبير" إعترافٌ مباشر، وصريحٌ بالمرض الذي أوصى به الموت: سرطانٌ زاحفٌ على البروستات!

مضت شهورٌ حتى جاء الوقتُ الذي يحسب فيه الزمنُ بالأيام والساعات. ونيرودا طريح الفراش في جزيرة العبد، يكف عن العمل. يضطرب البحر، ويُغلق أمواجه دونه، وسرعان ما تصبح رياحهُ الأربع هي رياح حملَته البحرية المربّعة. تلتف مؤامرةٌ محكمةٌ مطواعة كالأفعى. الناس يدرونَ ما سيكون. توقف إيقاعُ الحياةِ في المنتصف. ينظر الناسُ إلى بعضهم بريبة. تطوفُ بالمدينة ثُلةٌ من الرجعيين المعروفين، على وجوههم إبتسامة طولها ميل. عملاءٌ دوليون يهبطون ويقلعون من مطار بودايول، حاملين معهم حقائبَ مريبة. يكتبُ نيرودا رسالةَ إستغاثة إلى أصدقائه في أوربا والأمريكتين وأفريقيا وغيرها من البلدان، يدعوهم فيها للقدوم ونصرة شيلي، لدحر الانقلاب وإنقاذ الأمة الاشتراكية الصغيرة التي ستُذبح. كان صوت نيرودا واضحاً، ثابتاً.

التاسع من أيلول، يوم الأحد الكئيب. هدوءٌ يسبق العاصفة. عرفتُ أن نيرودا طلبني بالهاتف. لم يكن يعرف أنني في سانتياغو. يقترحُ على ديليا دومنغويث الاتصال بي في كاليفورنيا. التقطتُ السماعة، فأجابت ماتيلدا من جزيرة العبد. كنت أسمعُ نيرودا يقول بصوتٍ عال: قولي له أن يأتي اليوم، ومن الأفضل أن يأتي حالاً، اليوم.

إنه في الفراش، وواضحٌ من صوته أنه مشغولٌ بعمله وأوراقه. إتفقنا على الذهاب يوم الثلاثاء، الحادي عشر من أيلول. سأذهبُ على طريق الدار البيضاء، لا على طريق أنطونيو التي تسيطرُ عليها عربات الفاشيين. الثلاثاء، إنفجرَ عصيان القوات المسلحة.

وهذا آخر الأشياء التي عرفتها: نيرودا مريضٌ تماماً، يمنحهُ طبيبه بضعةَ أشهر للحياة.

لكني لا أدري إن كان هو قد عرف الحقيقة. طائرات الهوكر هنتر تقصف المونيدا. يسقط الرئيس الليندي برصاص غير معروف. يحملُ العمال الأسلحةَ على إمتداد الوطن. يسقط مصنع سومار. تسقط الجامعة التكنولوجية. تسقط الليغا، والهيرميدا. يتحدر الكادر الدامي للإتحاد الشعبي من تلال بالباريسو. محاكماتٌ صورية، وإعداماتٌ سريعة في تاماكو، وفالدفيا، في كونثون، وبياغوا، وأنتوفاغاستا. يريد نيرودا، الفاغر العينين وقد التحى الآن، رؤية كل هذا الموت، فيسحب قدميه إلى منتصف الطريق ليعرف فجأةً أنه قد أصبحَ أخيراً وجهاً لوجه مع الحقيقة. فالعالم الذي صنعهُ بيتاً بيتا، خطوةً خطوة، والوطنَ الذي بناه من الرمل والحجر، من الفحم، من النحاس والملح الصخري... الوطنَ الذي بناه من الطين، من الضباب، من الحنطة، من الصخر، من الثلج .. الوطن الذي سماه، وغنى له طوال السنين، وطن الفلاح والعامل، يسقط عليه كالسقف القديم، ويتهدم كحائط من اللَبن. لم يبقَ غير الصمت، غير البحر الشَامخ، غير ساحلٍ بعيد، وزورق واحد.

ليس للقصائد الثماني المنشورة في مجلة "الأزمة" أية علاقة مباشرة بديواني نيرودا الأساسيين "إقامةٌ في الأرض" و "أغنية الجموع". يواجهُ نيرودا في الجزءين الأولين من ديوان الإقامة موتاً أساسياً في مسيرة الحياة الخالدة. بلىً محتوماً عنيداً مستفحلاً. بذرة تدمر نفسها في خضم بحث غامض. عمياء ثابتة، تبحث عنَ جوٍّ لن يتكرر. عن سويقة قُطعت، وماتت. صورة عالم راهنَ يحمل العبء الميت لمستقبل يعكسُ خراب الماضي، يرى أنه سيكون جزءاً من هذا التفسخ الذي ينتشر ويحيط به من الداخل والخارج. يصف هرنان لويولا هذا التصور للموت في ديوان الإقامة، فيقول: "يرتبط ذكر الزمان في قصيدة "طيف السفينة" (والإشارة هنا إلى غرق السفينة فور أفريك عام ١٩٣٢) بفكرة البلى والتفسخ، بالغرق البطيء للأشياء في بحر الموت. وبالمقارنة الدقيقة، نجد الأمر نفسه في مسرحية "موت جواكان". لكن ديوان الإقامة لا يقدم صورة البلى والخراب بالتلميح إلى الزمن، أو النسيان، أو الموت. عليه، فإن إعادة مثل هذه التلميحات لا تفسر قدرة هذا الديوان على نقل الإحساس بالانهيار الدائم. ويحقق نيرودا هذا التأثير عبر شواط متواصلة من الصور المتآكلة والتماثيل." ويشير الكاتب أيضاً إلى فكرة الموت في شعر نيرودا الشاب: لا بسبب الألم البلاغي فحسب، بل لتأكيد الحياة أمام الموت المتأصل في الإثارة الحسية الفاعلة في ديوان "غموض"، وديوان "عشرون قصيدة حب، وأغنية يأس واحدة". نرى هنا تصوراً ناضجاً للموت، لا لأنه حدثٌ فريدٌ قائم بذاته، ولكن عمليةً تقاس بنتائجها المادية وتصوراتها الميتافيزيقية: دمارٌ وفراغ. ينجحُ نيرودا في استخدام رمزين قويين هما البحرُ والزمن، ويحيلهما إلى التجارب المتراكمة لظاهرة الاغتراب، وإلى الحالة الشخصية للألم. ويستمرُ في البحث عن إجابة لهذا الألم مقترباً بنفسه من الطبيعة المسالمة للأشياء التي لا تشعر بتآكلها ودُنوها من الموت، كالأحجار والأكياس والأشجار والمرايا والأوراق والقيود.

وفي ديوان "أغنية الجموع"، ينظر نيرودا إلى الموت من ناحية تاريخية، لا التأريخ اللانهائي، بل العرض اليومي لحوادث الموت الذي يلفه لا محالة. مثال ذلك شجرة الخريف، وحوادث الموت التي تغطيه كالقماش المرقّع. موتٌ جماعيٌ يخاطبهُ من قلعة ماشابيشو، أو يجتاز ببطء أعماق البحر العظيم. وصيته وثيقةٌ تاريخية، سياسية الهدف. بيانٌ بصراع الحياة. هي شهادة إيمانه بحزبهَ، الحزب الشيوعي الشيلي. الموتُ في القصائد المنشورة في مجلة الأزمة هو موت الشاعر نفسه، مختومة بإسمه. إنها التجربة المتممة لرجل ادخر الأيام لتلك الليلة الكبيرة، للكنوز المخبوءة، لتماثيل الجص، ونجوم كاذبة من الصفيح يزينُ بها قبره. هذا الرجل المريض المرتّق، المحارب الماهر العنيد، ينتظر الموت بعزم وثبات. حقاً يبدأ الموتُ بالساقين، وسرعان ما يصل إلى التَراق، كالجوع القاتل في المعدة، وكالظلام الدامي. وباختصار، هو الموت الذي سرعان ما يشخصهُ الدكتور أوريغو. قلتُ أن نيرودا ماتَ بسبب نوبة قلبية، أعقبت مأساة الحادي عشر من أيلول في شيلي، وبجانبه ماتيلدا، زوجتهُ ورفيقة عمره التي أشرفت على مراسم دفنه القاسي.

أعتقدُ أن نيرودا واجه اللغز الأخير بوعي تام، وحوّلهُ بلغة الحب والاستسلام إلى الفاعلية المادية للعالم كما رآه. وما أراد نيرودا تأكيده شيئاً في غاية البساطة: كان نيرودا قبل كل شيء شاعر الحب، وأكثر المحاربين إقداماً وقوةً وفرحاً، فأنتصر على الموت. وهذا ما جعله يطلب من رئيس التحرير أن ينشر قصيدتيه عن الحب بالحروف المائلة. ما الذي يقوله فيهما؟ ما الذي لم يقله نيرودا عن الحب في شعره؟

لأنه من دون المضي خلف الحاضر
وهو حلقة ضعيفة
نلمس رمل الأمس
وفي البحر يعلمنا الحب
البهجة المعادة.

كان الزمن، ولا يزال، حلقةً ضعيفة، دوّامةً تأخذ من الرقة إرادتها ومنطقها الخاصين، إرادة البحر ومنطقه في حركته الحكيمة الدائبة. سيبقى الزمن فيما يدعوه نيرودا "تكافلات" ومن أهمها ماتيلدا، وكل ما في داخلها. قصيدة "أغنية حب" أغنيةٌ عاطفيةٌ راقصة، ريتورنيلو عذبة، أغنيةٌ لمجد الحنان المتألق النضر، موسيقى والامتلاك.

بابلو! الوطن، عائلتي وعائلتك، أنا وأنت، والعالم. رموا الموت في عيوننا، وفرّقونا كما فرقت الريحُ أوراقنا، وطننا الذي
تُرك فارغاً
بلا أبواب،
بلا بيوت،
بلا أضواء،
بلا برتقال ،
وبلا أمواتٍ

وطننا على سفح التل، على شاطئ النهر، بجوار البحر. البالوعات مفتوحة، وفي الظلمة، وأنا أتطلعُ إليك، رأيتك تنظر إلينا والأشياءُ تغرق، ظلّ أحمرٌ لا يزول. تمضي الساعات من بندقية إلى أخرى، والتابوت الأسود يتهادى في الريح.

سيقولون إنها قصةٌ معروفة. ذلك النوع البسيط من المواقد الحجرية، والأمير الذي ينتظرنا عند الباب.

لكنني أفضّلُ معنىً آخر مختلفاً قليلاً: إنها القصة البسيطة للإنسانية ومصائرها الراهنة. لا طقوس، المهم عوائلنا والدعاءُ باللطف – عسى أن تتأخر التوابيت!

تُظهر القصيدة ثقة بالاتجاه الوحيد للزمن: نحونا، ضدنا. إنه كالريح المذعورة، يسلبنا الفسحة الوحيدة، والتي هي في الحقيقة لم تكن لنا قط.

حين نعود إلى القصائد العشر الآنفة، نجد إثنتين تشيران مباشرةً إلى الموت، وتعكسان بوضوح تأمل نيرودا السري فيه. الأولى بعنوان "حيوانُ الضوء"، وهي اعترافُ الشاعر بعزلته، بالحلقة المسدودة حوله، وبأولئك الذين لن يستطيعوا ملامسة أعماقه بعد الآن. تقاعد الشاعرُ، وانسحب من دنيا الشعر. لا أحد معه غير أمواج البحر والنجوم، وهما صديقان مرهونان بالزمن.

ذاهبون الى القصيدة (الى بابلو نيرودا)

محمود درويش

العام ١٩٧٥، بعد نحو ثلاثة أشهر على اندلاع الحرب في لبنان، صدر العدد السادس والأربعون من مجلة «شؤون فلسطينية» (حزيران/ يونيو) حاملاً قصيدة للشاعر محمود درويش عنوانها «ذاهبون الى القصيدة – الى بابلو نيرودا». لكن ظروف الحرب حالت دون انتشار العدد من المجلة التي كان درويش يرأس تحريرها، ما جعل القصيدة تبقى مجهولة أو شبه مجهولة، على رغم أهمّيتها، ونبرتها الغنائية الجديدة التي ستتجلّى من ثمّ في أعمال الشاعر اللاحقة. كان درويش أصدر آخر دواوينه حينذاك «تلك صورتها وهذا انتحار العاشق» وكان يتهيّأ لنشر ديوانه الجديد «أعراس». وعندما صدر «أعراس» لم تكن هذه القصيدة ذات الطابع المختلف في عداد قصائده. ثم توالت دواوين درويش ولم يحمل أيٌّ منها هذه القصيدة. لم ينس محمود قصيدته هذه ولم يتناسَها، لكنه لم يجد لها موقعاً في دواوينه التي تعاقبت حاملة سماتها الخاصة، فظلت القصيدة مجهولة أو شبه مجهولة، مع أن الشاعر كان يحبها ويكنّ لها عاطفة وذكرى، وكان يردّد مقاطع منها أمام أصدقائه في الجلسات الحميمة. وكان دوماً يقول أن لا بد لها من أن تجد مكاناً لها في ديوان. وغاب محمود درويش ولم تصدر القصيدة في ديوان، فظلّت أسيرة ذلك العدد من «شؤون فلسطينية».

ولعل فرادة هذه القصيدة تكمن في انتمائها الى بدايات المرحلة الجديدة التي كان يخوضها الشاعر مشرعاً نوافذ

الشعر على آفاق متعدّدة، هي آفاق الذات الإنسانية والغنائية العالية واللغة المحدثة.

يتسلّقُ الجيتارَ:
ستٌّ سنابل تأتي من الأسرار.
تنهمرُ الجهاتُ عليه – منه. وهكذا تأتي الخلاصةُ:
إنّ خمس أنامل تحمي المحيطَ من الجفاف.
ويغضبُ الجيتارُ:
ستٌّ زوابع تأتي من الصمتِ المهدِّد.
هكذا تأتي الخلاصة: إنّ خمس أصابع
تحمي الصباح من التردّد.
إنّ نيرودا
يُغنّي
بين الفراشة واللهيب يسافرُ الشعراءُ
بين السيف والدم فوق حدّ السيف
ينتظرون وردتهم
يُحبّون القصيدة حيث تفلت من هواجسهم
وينتحرون في أوج القصيدةْ
الموتُ يسكنهم ولا يَدرون... ينفجرون مثل
شقائق النعمان في يوم
ربيعيّ قصيرْ.
بين القصيدة والقصيدة يطردون البحرَ...
ينتقمون من زَبَدٍ يفرّ من الأصابع
يذهبون إلى الشوارع عاجزين ومُتعبين
كأيّ بوليس يفتّش عن علاقات مُحرّمة
ليكتبَ أيّ
شيء ضدّ أي شيء...
يكذبون على النساء...
يزوّرون الحبرَ والقبلات...
عاديّون عاديّون ما بين القصيدة
والقصيدة يسأمون الشعر والفجر
المبكّر و... الوطن.
... وكما يموت النسرُ ينطلقونَ
نيرودا!
جَمَعْتَ لنا الندى من كلّ زنبقة وجمجمة
شربتَ هدير هذا البحر نخبَ يدٍ تقاومُ في
حقول الموز –
والأصداف بين يديكَ –
كان الشرقُ يغسل وجهَهُ في لهجة صينيّة
والحربُ تجعل كلّ شيء واضحاً كالخبزْ
هل يتمهّل الزلزال أمسيةً لنخرجَ من

قواميس اللغات إلى
ضواحي الصوت؟
فلّاحوكِ
صيّادوكِ
جلّادوكِ
يحتشدون فوق أصابع الجيتار...
أحصنةٌ تدور مع الرياح السود
إمرأةٌ تهاجمها بأغنيةٍ، وتسقطُ في
البنفسج
تستطيعُ وتستطيعُ وتستطيعْ.
دمُنا على المحراث
نيرودا! تُغنّي أمْ تروّض غابةً
تمشي على الإيقاع أم يتجوّل البركانُ فيكَ
وحارسُ البستان يختزن الأفاعي خلفَ
صوتكَ.
إنّ جمهوريةً أخرى تُعيد قصيدة أخرى
إلى أفراحها...
لكن شطآن القصيدة لا تُدجّنها البحيرةُ –
كان فيدريكو يموت على «سياجٍ يحجبُ
القمر» الحبيبُ يموتُ.
أجراسٌ تدقّ وتختفي في القلب...
كان الموتُ يجعلُ كلّ شيءٍ واضحاً كالعشبِ
هل يتمهّل الزلزال أمسيةً لنجمع عن
خناجرهم دمَ الأطفال
والشعراء؟
كان الليلُ أوضحَ من خطى الشهداء
لكنّ المياه تسيلُ من وَتَرٍ يقاومُ صخرةً
صمّاء...
نيرودا! سننتصرُ
القيود لنا – سننتصرُ
النشيدُ لنا – سننتصرُ
الضروعُ مليئةٌ بالبرق – ننتصرُ
الضلوع منازلٌ للعشقِ – ننتصرُ
الجيادُ السودُ تهبط من مكانٍ ما –
سننتصرُ
النهايةُ تنتهي
هذا هو الجيتارُ أرضٌ في تمام الصوت
تزخر بالوضوح من الوريد
إلى الوريد...
وها همُ الشعراءُ في أوجِ القصيدةِ ذاهبون
إلى القصيدة في
شباكِ الصيّدِ

يولدُ فوجُ ضبّاط جديدٌ. سورةُ الموتى
تزيدُ. وعاملُ التعدين
يدخل عامه السبعين. والشعراء يختارون
هاجسهمْ
وينتحرونَ خلف البرلمان...
منذ البداية: إنّ هذا المسرَحَ الخالي من
الجمهور والجدران
ينتظر البشارةَ في الأغاني.
ها نحنُ نتّفقُ: الغزالةُ لا تحبّ الشعرَ
والشعراء حقلٌ أزرقٌ لم يُفترَعْ إلا بأقدام
الغزالة.
ها نحن نختلفُ: الجبالُ بعيدةٌ...
نتسلّقُ الجيتارَ. ستّ زنابقٍ تأتي من
الفحم. الجهاتُ تعودُ
من ساحات غربتها وتأوي للنوافذ. إنّ
خمس أصابع تحمي الفضاء
من البقاء على سطوح البرلمان.
وإنّ
نيرودا
يغنّي.
ها نحن نختلفُ – اتفقنا
ها نحن نتّفقُ – اختلفنا.
للجبالِ يدٌ هي المطرُ. القصيدة ملء هذا
المسرح الخالي من
الجدران
للأرض ارتعاشاتٌ هي الدمُ. حين ينهمرُ
الرصاص عليكَ – منك
ومن لصوص الليل تصرخُ في وضوحْ
إنّ الجروح هي الجروحْ.
لكنّ هذا البحر أزرق
لكنّ هذا الحقل أخضرْ
ودم المغنّي أبيضٌ فوق الشوارع
والأصابع.
عاملُ التعدين يدخل عامه السبعين...
يقرأ أبجديّة قلبه المشويّ فوق الفحم
فحما...
والرغيفُ غزالةٌ تعدو وتعدو في القيود..
وفوج ضبّاط جديدٌ يُتقن السهر الطويلَ
على حدود الخبزْ...
قد مرّوا «جماجمَ من رصاص» مرةً
أخرى... ونيرودا يموتُ.
«خيولهم سوداء». نيرودا يموتُ على

قصيدته... فتذهب في الفضاء...
وعاملُ التعدين يقرأ صفحةً أخرى ويسقط
في المينفسج
يغضبُ الجيتارُ
ستٌّ زوابع
تأتي من الصمت المهدِّد
إن خمس أصابع
تحمي
الصباحَ
من
التردّد.
كان نيرودا يغنّي
ها نحن نتّفق: الغزالةُ بين أيدينا.
دمُ الشعراء محراث
ويحتفلُ الترابْ.
ها نحن نتّفق: الغزالةُ بين أيدينا.
لأجلك يرجعُ البطّ المخيِّمُ في جنوب البحر
نيرودا! لأجلكَ نكتفي بالعمر أغنيةً وكأساً
من سحاب.
مدنٌ تنام على السلالم في انتظاركَ. آه
نيرودا. شواطئ هذه
الأرض الصغيرة – عبر صوتك – قبلةٌ
مفتوحةٌ للنورس الباكي وللبجع
الذي يتعلّم الرقص المميتَ
لكَ القرنفلُ. شهرُ أيارَ. البديلُ الاشتراكيُّ.
المدارسُ. أبجديّة
عامل الميناء. تمثال الصدى والعطرِ. أوّل
خطوة بعد الزنازين.
الأغاني في حوانيت الفواكه
آه نيرودا! حدودُ الأرض في ليمون صوتكَ
ملعبُ الكرة،
المظاهرةُ، احتفالُ الذاهبين إلى الجحيم.
لك اعترافاتُ النساء العاشقات.
لك النشيدُ الأزرقُ... الحريةُ الزرقاءُ...
أبعدُ قريةٍ في الأرض
لكنْ / بعدَ موتك
عبر موتك
قرب موتكَ
كلُّ فجرٍ كان ينتظرُ انطفاءك كي يضيءْ
وكلُّ صوْت كان ينتظرِ اختفاءك كي يجيءْ.
ها نحن نتّفقُ: الغزالةُ لا تحبّ الشعرَ في
الزمن الرديءْ

بابلو نيرودا شاعر الكرامة الانسانية المنتهكة

عندما منح هذا الشاعر جائزة نوبل
جاء في بيان الاكاديمة أنه شاعر الكرامة الانسانية المنتهكة .. يوقظ الحياة فيها ويزرعها بالبرق، ليضيء به قلب الانسان ويصافح حيوات الناس الطامحين الى الحب والحياة والحرية ولذلك يتوحد شعره مع مواقفه وتتوحد حياته مع مصير الانسان ، وتكمن اهمية انيرودا في ا في الظاهرة التي جسدها الى جانب عدد من شعراء اسبانيا البارزين، وشعراء العالم الذين وحدوا بين الحياة والكفاح من اجل العدالة والحرية فيها وبين الرؤية الجمالية التي انطلقت من البحث عن الخلاص الجماعي، الانساني بدلاً من الاستغراق في عالم الذات، والبحث عن الخلاص الفردي، فكان بذلك شاهداً حياً على عصره، ومشاركا في النضال من اجل جعله اكثر انسانية وجمالا، الامر الذي جعل منه جزءاً من أشهر نجوم الشعر الممتد من لوركا الى انطونيو ماتشادوا وخيمنييث وبول ايلوار والبرتي هذا النهر الذي ظل يحفر مجراه بعمق بين صخور الحياة لتغطي خضرة الشعر عري الحياة الفاضح.
بدأ نيرودا بإصدار باكورة دواوينه منذ ١٩٢٣ وهي مجموعته الشعرية الأولى كتاب (الشفق).آنذاك كان طالباً يدرس الأدب الفرنسي في جامعة تشيلي في سانتياغو. بعدها أصدر مجموعة (عشرون قصيدة حب، وأغنية يأس واحدة) ١٩٢٣-١٩٢٤، التي جلبت له الشهرة خارج تشيلي.
توالت أعماله الشعرية على مدة حياة طبعها توالي الأسفار التي أثرت دون شك قدراته الخيالية، وأغنت إبداعاته الشعرية. فلم تخل إنتاجاته من آثار التجوال والمنفى. يقول نيرودا: (خلال حياتي كلها رحت وجئت، وغيرت ملابس وكواكب).
كان نيرودا قد أصبح شاعراً معروفاً أعوام بين ١٩٢١/ ١٩٢٤ وكان عمره ستة عشر عاما. واقتحم الحياة الطالبية من أوسع أبوابها، فقد بدأ آنذاك يعمل في هيئة تحرير مجلة الطلبة (كلاريداد).
وصار يكتب افتتاحياتها ذات الطابع الكفاحي الثوري.
وفي الثاني والعشرين من كانون ثاني ١٩٢١ ظهر في المجلة للمرة الأولى الاسم المستعار بابلو نيرودا وكان اسمه الحقيقي نيفتالي ركادو ريس باسوالتو). وفي عام ١٩٢٠ انتخب رئيساً للرابطة الأدبية. وكان قد نشر في مجلة (كلاريداد) وحدها ١٠٨ مقالات، بإسمه المستعار الذي اكتسب شهرة عالمية، وبعد أن صارت كلمته الجميلة تصدح تقريباً في كل مكان.
كانت كلاريداد أول مجلة دورية تشيلية، ساندت الحركة التقدمية من أجل الإصلاح الجامعي. ظهرت عام ١٩١٨ في مدينة قرطبة الأرجنتينية. فضحت عيوب المجتمع الإقطاعي المتخلف وآثامه، ووقفت المجلة علناً ضد الهستيريا السوفيتية التي هددت بتوريط المنطقة في مذبحة دموية مع البيرو.
صادف نيرودا الشاب في هيئة تحرير (كلاريداد) تيارين في الفكر السياسي والاجتماعي: الأول كان يندفع نحو المبادئ الفوضوية السنديكالية، والثاني نحو المبادئ الماركسية. وكان يكاربارين بالنسبة لنيرودا نموذجاً لأولئك مانريك، يأخذون الحياة بأيديهم ويجذبون سائر النفوس إليهم.
ترأس تحرير مجلة كابالو دو باستوس، الأدبية عام ١٩٢٥.وصدر له في نفس الفترة (محاولة الرجل اللانهائي.
نشر (إقامة على الأرض)في عام ١٩٣٣، وكان قد كتب قصائده ما بين ١٩٢٥ و ١٩٣١، كتب (إسبانيا في القلب)، من وحي الحرب الأهلية في إسبانيا في آب١٩٣٦، وبعد أن أعدم لوركا بالقرب من غرناطة ترك عمله قنصلاً وغادر إلى باريس، حيث أسس مجلة (شعراء العالم) ودافع فيها عن الشعب الإسباني.
أصدر في باريس (إسبانيا في القلب) عام ١٩٣٨.
وقدم له الشاعر أراغون، أسس في بلده مجلة (فجر تشيلي).
كتب١٩٤٠ (نشيد تشيلي العام)، الذي أصبح فيما بعد (النشيد الوطني. وعُين قنصلاً في مكسيكو، وكتب هناك نشيد من أجل بوليار).
كتب في كوبا (أغنية حب في تسالينغراد). عام ١٩٤٢.
وعلقت هذه القصيدة على لافتات كبيرة فوق جدران مكسيكو، حاز على جائزة الأدب الوطنية في تشيلي.
في ٨ تموز ١٩٤٥
و حاز على جائزة السلام الكبرى في باريس عام١٩٥٠، مناصفة مع بيكاسو عن قصيدته (فليستفق الحطاب) نشر (كل الحب)، و(شعر سياسي) أنطولوجيا في الشعر العالمي في جزأين.

كانت حياته مليئة بالمجد وبخيبات الأمل أيضاً، على غرار حياة ناظم حكمت بتركيا وفردريكو غارسيا لوركا بإسبانيا، ولوي أراغون بفرنسا. فلم يكن بمقدوره سوى أن يكون باحثاً عن أحلام مستحيلة في الغالب. ولكنها كانت أحلاماً تستحق أن يعتنقها الإنسان. وكان يعرف أن طائر السنونو أكثر بقاءً من التمثال الصلب.

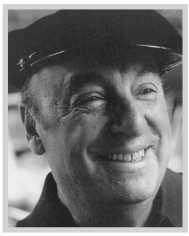

وصدر له أيضاً (الأناشيد التمهيدية) و(الكرمة والريح). وذلك سنة ١٩٥٤، وفي عام ١٩٥٨صدر كتابه (مئة قصيدة حب). وفي ١٩٦٤صدرت مجموعة (مذكرات الجزيرة السوداء).
في خمسة أجزاء. وعام ١٩٦٨صدرت النسخة الثالثة من مجموعة أعماله الكاملة. و نشر سنة١٩٦٩ (نهاية ألم) أيضاً.
حاز على جائزة نوبل للآداب١٩٧١في ٢١ تشرين الأول.
وفي ١٩٧٢بدأ كتابة مذكراته. ولكي يتفرغ لكتابتها تنحى عن منصبه في باريس. في تشرين الثاني عاد إلى تشيلي حيث استقبله الشعب استقبالاً لا مثيل له.
صدر عام ١٩٧٣ كتابه الشعري (مدح الثورة التشيلية).
كان نيرودا شاعراً ذا أساليب عديدة وأصوات عديدة، شاعراً ظل عمله مركز كل شعر إسباني أو إسباني أمريكي طيلة القرن العشرين تقريباً. لقد قيل ذات يوم أنه بيكاسو الشعر، في تلميح إلى قدرته المتلونة على أن يكون دائماً في طليعة التغيير.
كان يمكن لعدة سبل أن تدفع بالشاعر إلى حياة مترفة مرفهة، لكنه اختار سبيل النزاهة الإنسانية والالتزام الثقافي اللذين جعلا منه بامتياز تروبا دوراً شعرياً عالمياً.
وليس غريباً هذا الأمر على شاعر وإنسان كبير مثل بابلو، الذي كان يعيش الحياة التي تنطبق فيها أفكاره على أفعاله، من دون أن ينفصل كإنسان عن كونه كاتباً أيضاً.
لقد حفلت قصائده بخيول شيلي وحجارتها وسهولها وجبالها وعشاقها وثوارها وطيورها. فقد كان شاعر الحياة حقاً،يكتب كما تورق الأشجار، ويأتي النغم من أشعاره كالنسيم من الوردة، أو كصوت سريان الماء فوق صخور جبال شيلي التي أحبها بشغف وفرح طفولي.
كانت حياته مليئة بالمجد وبخيبات الأمل أيضاً، على غرار حياة ناظم حكمت بتركيا وفردريكو غارسيا لوركا بإسبانيا، ولوي أراغون بفرنسا. فلم يكن بمقدوره سوى أن يكون باحثاً عن أحلام مستحيلة في الغالب. ولكنها كانت أحلاماً تستحق أن يعتنقها الإنسان. وكان يعرف أن طائر السنونو أكثر بقاءً من التمثال الصلب. لكنه لا يعرف الحقد والسخرية.
وحين يريد أن يعاقب ويرفع السيف، يجد نفسه أمام حمامة جريحة بين أصابعه.
أن شعر نيرودا يرتفع بنغم لا مثيل له في أمريكا، إنه شعر مليء بالحب، وكله عذوبة وصدق.
وشاءت الأقدار أن يقتل لوركا على يد وحوش الفاشست الضارية، فكتب:
سقط قمر غرناطة في بركة دم.
وصرخ في ليلة الانقلاب الفاشي حين رأى الدم

التشيلي في الشوارع:
تعالوا انظروا الدم في الشوارع.
تعالوا انظروا الدم في..!
تعالوا انظروا...
لقد جمع بابلو نيرودا في مجمل أعماله ما بين المشهدين، الأدبي والاجتماعي، لعصره ولم يضح بواحد على حساب الآخر، جاعلاً منهما عمادين للمعنى الشعري.
ترك وراءه ما يقارب أربعة آلاف صفحة من الشعر.
وقال ذات مرة: إنه أراد شعراً غير طاهر كالجسد، شعراً ملطخاً بالطعام والعار، شعراً إذا غضون ومشاهدات وأحلام واستيقاظ ونبوءات، وإعلانات حب وكراهية، ووحوش، ولطمات، وأناشيد رعاة، ومظاهرات، وإنكارات، وشكوك، وتأكيدات، وضرائب.
إن ذكرى نيرودا في وطنه تشيلي وفي العالم كله، عالم شاعر كبير، ومناضل كبير، وتراجيدي كبير، استخلص في شعره عصارة قارة كاملة، بكل تواريخها، وأساطيرها، وأحلامها، وأفكارها، ونضالاتها، ودكتاتوريها، وسجونها، ومنافيها.
وفي ١١ أيلول ١٩٧٣. أطاحت حكومة عسكرية بالسلطة وأعدم سلفادور أليندي. و في ٢٣ أيلول، إثر حزنه العميق لما جرى في البلاد، توفي الشاعر بابلو نيرودا في مستشفى سنتياغو في تشيلي.
بعد فترة وجيزة من وفاته، قامت مجموعة عسكرية بحرق وهدم منزله في سنتياغو، وأيضاً منزله في الباريزو الذي يحتوي على أوراقه الشخصية. وبعد وفاته صدر في ٢٨ تشرين الثاني، آخر كتابين من كتبه: (الوردة المفصولة) و(البحر والأجراس).
أنا أكتب للشعب
برغم كونه لا يستطيع بأعينه الهلكى
أن يقرأ أشعاري
ولكن ستأتي اللحظة التي يبلغ
فيها أسماعه
سطر هو الريح التي تزلزل حياتي
وعندئذ، سيرفع الفلاح الطيب
عينيه
وسيبسم العامل وهو يحطم
الأحجار
وسيغسل حامل المجرفة جبينه
وسيتملى الصياد ألقا نابضاً من
السمكة التي ستحرق يديه
والميكانيكي المستحم بعطر الصابون
سيرنو إلى قصائدي،

وربما قالوا جميعاً:
لقد كان رفيقاً لنا
هذا يكفيني
إنه التاج الذي أشتهي
أريد أن يتحد شعري بالأرض
وأن ينصهر بالهواء، بانتصار
الإنسان المهان".
بهذا جعل نيرودا الشعر فعلاً، جماعياً، يتخذ مكانه في النضال، وفي تبديل العالم. وإذا كان قد توغل في كثير من قصائده، ومقاطعه، في عالم الفن المتصل بالسوريالية، فإنه إلى هذا، أخذ بمبدأ التبسيط الذي يضارع النثر حيناً. وذلك بمثابة استراحة يفزع إليها كلما أنس في قارئيه تعباً، أوشك أن يقتعد بهم مقعد العزوف عن الصعوبة المتصدية لفهمهم البسيط.
ومن هذا الواقع الذي حمل الشاعر على الاقتناع بأن الشعر جزء من الواقع وجزء من المصير، راح نيرودا ينشر كنوزه، منتقلاً من منفى إلى منفى، ومن بلد إلى آخر، حتى عرفته عواصم الدنيا: باريس، ولندن، وموسكو، وبيكين، وبراغ، وبرلين وسواهما. وقد أقام الشاعر معها جميعاً جسراً من الصداقة وهو يقول ممعناً في السفر والتجوال:
"لنستمر في رحلتنا لأن الحياة
مستمرة
وعندئذ
عبر البارحة واليوم وغداً
سيحضر النبيذ والزعفران المأدبة
فتلتمع الأسماك في جهاز عرسها
وفي الجو الأفريقي ترقص الأغطية".

نشر المقال في مجلة الاقلام ١٩٧٣ بقلم الناقد الراحل عبد الجبار داوود البصري

نيرودا في لقاء صحفي

بابلو نيرودا

الغنائي الملحمي الذي أعطى الشعر طعم الخبز ورائحة الفصول

نيرودا اكبر من حجم مرحلة. وهو كما قيل "شاعر مرحلة" (ولو نرى ان هذه التسمية انتقاص منه) شأنه في ذلك شأن الشعراء والفنانين والكتاب يستوون في الجبهة ذاتها، او في الفضاءات السياسية وحتى الأيديولوجية والإبداعية ذاتها: لوركا، البرتي، ناظم حكمت، اراغون، ايلويار.. كأنما حلقة واحدة واحيانا لغة متقاربة الرهافات والهواجس والمستويات. ونظن ان نيرودا مع بعض هؤلاء اكتسب ما اكتسبه من هالات وأسطورة، ليس فقط بسبب نهايته "المأسوية" عندما استولى بينوشيه على السلطة ومات نيرودا حرقة، وألماً، بعد نحو أسبوعين بعدما أحرق منزله، ومتاعه ومكتبته... وانما لأنه ايضاً استطاع بشعره أولاً وأخيراً، وخارج الضجيج الاعلامي، ان ينجو، او ان يبقى بعدما سقطت الأيديولوجيات وقبله الأنظمة) التي تبناها كيساري وشيوعي ملتزم.

بمعنى آخر، ولأن شعر نيرودا، (وحتى نيرودا كرمز) ما زال يحتفظ بقوته ونضارته بعد زوال مختلف الظروف التي ساهمت في تغذيته وشحنه، فانه يبدو الآن اكثر حضوراً مما كان في تلك المرحلة، ذلك ان الهالات السياسية التي كانت تغلف هذا الشعر وتحجب طاقته الهائلة، وتقننه وتوجهه توجهاً "احادياً" (اي توجهاً أيديولوجيا بالدرجة الأولى)، عبر الأدوار التي لعبتها الاحزاب والتنظيمات السياسية (لاهداف احياناً دعائية) قد تبددت، لتترك الشعر وحيداً بحياته الخاصة، بقيمته النسبية، وهذا تحديداً ما شعرت به وانا أراجع دواوينه: من كتاباته الأولى في العشرينات، وحتى كتاباته الأخيرة في السبعينات اي قبل وفاته وما صدر بعد رحيله.

شعرت أولاً بأنني اكتشف حجم نيرودا الشعري.

وهذا ما كان ليتم عبر قراءات متباعدة ومتفرقة لأعماله. ثانياً، شعرت بأن الاحزاب اليسارية العربية اساءت الى هذا الرجل، عندما قدمته في صورته الطاغية "كمناضل سياسي" وأغفلت ما تناءى من شعره عن سياستها، ثالثاً، شعرت بأن قراءاتي لهذا الشاعر الكبير قد تحررت مما يجعلها تقع في احكام مسبقة، والتي ورثناها من "الطليعيات" الشعرية والنخبوية واعتبار ان نيرودا "دون" هذه الملامح التجريبية والالتباسات اللغوية، والتشريحات في بنية اللغة وصولاً الى القصيدة، التي عرفتها الحداثة الشعريةمنذ بودلير حتى اليوم.

المغامرة

إذاً هنا تبدأ المغامرة ان تقرأ عاري الذهن نصاً تريد ان تتوغل فيه، لا بحثاً عن افكار ومواقف ايديولوجية وثورية وملتزمة، وانما بحثاً عن طاقات هذه الشعرية وتعابيرها، واسرارها ومتونها وفضاءاتها وتراكيبها وفتوحاتها وكانت قراءات على مدى اكثر من شهر قمة المتعة والسعادة والحرية ايضاً. فأخيراً وجدت الشاعر بعدما كان ضائعاً في متاهات ما "اغدق" عليه من شعارات وخانات.. لكن كل هذا لا يعني وضع حدود بين الشاعر وقصيدته ومضامينها وأطرها الفكرية والسياسية.

عل مدى قراءاتي لأعمال هذا الشاعر التشيلي الكبير وجدت انه لم "يتخل" لحظة عن الغنائية.

شاعر غنائي بامتياز، نقول هذا لأن هناك اتجاهات راهنة (كانت موجودة من قبل) تُنكر على الشعر اي غنائية أو عاطفية او حتى رومانسية، ويمثل هذه الاتجاهات شعراء كبار في فرنسا مثلاً كبرنار نويل او دنيس روش او غيفيك او غرومون او شارل دوبزنسكي من دون ان ننسى ان جزءاً من ارث السوريالية القائم على التداعيات واقتباس الصورة المجانية، والهذر المجاني (التلقائي الآلي) واللاوعي السحيق ينفي طغيان الغنائية او يختزلها او يحولها في اتجاهات اخرى، من دون ان نغفل المنحى الصوفي الشرقي فيها.

شاعر غنائي نيرودا. وينتمي في غنائيته هذه الى سلالة ضاربة الجذور في اميركا اللاتينية وفي اوروبا مند رونسار ودوبيليه وحتى الرمزية في بعض جوانبها) مروراً بالينبوع المتدفق: الرمانطيقية من لامارتين الى هولودرلن الى كينتس وبايرون وويتمان وغوته ونوفاليس (شاعر الليل). موروث غني ومتنوع يختزن العاطفية المبسطة اختزانه الميتافيزيقا والفلسفة والتأملية، الى حدود الادراكات الحدسية في اكتشاف العالم، وكذلك الادراكات الذهنية والعقلانية.

لكن اين نيرودا من كل ذلك؟ اي غنائية؟ لا نبالغ اذا قلنا انه تأثر او استوعب او اغترف من كل هذه الغنائيات. فمن حالات "رومانسية" مبسطة وحميمة وخصوصية رافقته منذ بداياته وهو في العشرينات حتى آخر أيامه، الى غنائية اختلطت فيها الاحاسيس والمناخات التي توجهها نحو الخارج، نحو الآخر. وهنا لا بد من ان نشير الى ان نيرودا، كماركسي، (اي كعقلاني) واجه العالم بعاطفية واعية، مجمل التناقضات والاوضاع الانسانية من ظروف الاستبداد، الى واقع العمال والفلاحين، والشعوب المسحوقة والظلم الاجتماعي والتاريخ المرتبط بالحاضر، والحاضر المفتوح على التواريخ، بفروعها الاسطورية الخرافية والحكائية والقصصية، (تراث اميركا اللاتينية ثري جداً بها).

هذا يعني ان نيرودا الغنائي هو شاعر الداخل. الداخل الذي يتدفق على الخارج. شارع الخارج الذي يمتزج في الداخل. العقلاني الذي يرى الى عقلانية حسية وعاطفية، ورومانسي يوظف شغفه في فضاء اوسع من الذاتية وحدودها الضيقة (كما نرى لامارتين ودو موسيه ودو نيني) من منطلق المغادرة الدائمة للذات الى الآخر. فهو (في غنائيته) شاعر الذات بقدر ما هو شاعر الآخر. اي ان غنائيته هذه، وان راوحت في مجانية خصوصية (وان مفتوحة) تخرج الى ما هو ارحب: الى الشارع الى المصانع الى السجون، الى المنافي وإلى الفقراء...الى التفاوت الاجتماعي، والدكتاتورية، غنائية نقدية اذاً في بعض وجوهها.

الحب

فهو أكثر شعراء اميركا اللاتينية كتابة عن الحب.

فمن بداياته: "عشرون قصيدة حب" الى مراحله المتقدمة (مئة قصيدة حب). وبين ربط هذا الحب الشقي" الجارف المجنون بالارض والطبيعة والناس، وبالزمن ايضاً، وألاحظ هنا ان نيرودا في أبرز كتابيه عن الحب "عشرون قصيدة حب" و"مئة قصيدة حب" يصل في نهاية العملين الى نوع من الميلودراما او الأحرى الدرامية: خط بياني يبدأ باللحظات الباهرة، والعشق المتفتح، لينتهي الى الفراق. تطور درامي عند نيرودا وكأنه، في عبره غير المباشرة، يجعل الزمن ينتصر.

لكن علينا أن نتبع هذه الغنائية الرقيقة

ان نيرودا الغنائي هو شاعر الداخل. الداخل الذي يتدفق على الخارج. شارع الخارج الذي يمتزج في الداخل. العقلاني الذي يرى الى عقلانية حسية وعاطفية، ورومانسي يوظف شغفه في فضاء اوسع من الذاتية وحدودها الضيقة (كما نرى لامارتين ودو موسيه ودو نيني) من منطلق المغادرة الدائمة للذات الى الآخر. فهو (في غنائيته) شاعر الذات بقدر ما هو شاعر الآخر.

بورتريه بابلو نيرودا

في حياة ما.. سأكون نسراً

لينا حسن

والعنيفة والفاجعة في عشقه الى ما هو أضخم وأوسع عندما تعانق، وبأجواء خيالية وأسطورية عالية، الملحمية لا سيما في "النشيد العمومي" (تحفته الكبرى) أو "سيف اللهب"، حيث يمتزج الحس الخاص بالحس التاريخي والأسطوري، لتتداخل فيها الخوارق والحكايات والأساطير والتواريخ في بنية متماسكة ومفتوحة. فهو في هذين الكتابين عرف كيف يصل الغنائية المتفجرة بالملحمية العالية وصولاً الى صفاء النشيد.

فغنائيته هنا تخترق المخيلة التاريخية والذاكرة الجماعية، في لغة متماسكة، وموصولة يبني عمارتها حجراً حجراً، ونشيداً نشيداً، ومشهداً مشهداً، ولحظة لحظة. انه الوعي الحاد التاريخي اكتسبه من انتمائه الإيديولوجي، وهو الوعي الحاد بالأسطورة اكتسبه من تراثه اللاتيني، وهو يمر بكيمياء العناصر اللغوية والصورية والإيقاعية اكتسب بعضها من ثقافته الأوروبية لاسيما الفرنسية (هذا ما فعله ماركيز وبورخيس).

هذه المناخات "الغرائبية" التي نقرأها في "النشيد العمومي" و"سيف اللهب" (متأثراً بهذا الأخير بحكاية التكوين البارودي للواقع)، هل تلتقي السوريالية التي تعمقها نيرودا. هل عناصر الصورة: جمع المتباعد، أو لمّ المتنافر، من إرث الدادائية أو السوريالية؟

علينا أن نعرف أن نيرودا التقى السوريالية وافترق عنها (كرينه شار، وبريفير وارطو وايلويار وحتى لوركا). أقصد انه اختزن هذه اللعبة السوويالية القائمة على "المدهش"، والغرائبي، والصدمة في الصورة والتراكيب. هذا موجود في شعره: المزيج من الإبهار الغريب في تركيب الصورة نجده حتى في قصائده الأولى (صدرت في ثلاثة أجزاء)، وفي مجمل أعماله حتى في قصائده الغنائية "الصافية"، لكن علينا أيضاً أن نعرف أن نيرودا يبتعد بحكم تكوينه الإيديولوجي والنفسي عن المجانية. فالصورة المتداعية عن السورياليين مجانية. يسمها الغياب. أو الغيبوبة. ولا تذهب أبعد من ذاتها. أي انها لا توظف في خدمة رؤيا أبعد منها. وتحديدا رؤيا يتخللها وعي "صارم" بالعالم. الصورة السوريالية تلتقي مناخات الصوفية، والصوفية حواس متلاشية، أو ذائبة، أو نائمة، أو حالمة... عند نيرودا الصورة جزء من الصحو: الصوفيون "ذوو عيون مغلقة" يستبطنون بها العالم. عند نيرودا الصورة طالعة من "عين مفتوحة" على العالم، أي ذاهبة الى وظيفة ومعنى وإيماء وفكرة (أي حقيقة ما)، أي مغادرة لقيمتها "الإدهاشية" ومجانيتها. يعني أن نيرودا استفاد والى حد كبير من "تقنيات" السوريالية، ليدرجها في رؤيا "نقدية" للعالم، أو في نسيج متماسك للقصيدة (السورياليون رفضوا مبدأ القصيدة كبناء واع في اتجاه أن الجمالية المشغولة بعيدة عنهم).

لكن إذا كان نيرودا ترك ما ترك من السوريالية، وأخذ ما أخذ، فلأنه تأثر أيضاً بالرمزية (البر سامان، جان بول رو، هنري جايمس، بول فور وصولا الى مالرمه فاليري وصعودا الى بودلير ورلين وحتى اليوم). أقصد أن نيرودا لعب لعبة الظاهر والباطن (وهي أيضا عند الصوفيين)، الرمز والمرموز إليه. أي المجاز الذي يحبك عناصره حبكاً مشدوداً، أو حبكاً يستغل فيها مبدأ "الإيحاء" بدلاً من التفسير المباشر، سواء عبر الصورة (رامبو)، أو الموسيقى (رلين) أو الإثنين معاً (اليري). لكن علينا أن نلاحظ أن علاقة نيرودا بالرمزية (كمدرسة) كعلاقتة بالسوريالية (كمدرسة أيضا) وبالرومانطيقية، علاقة تقاطع ومغادرة. فهو ابتعد عن الوقوع في التصنيفات. وفي الكاتدرائيات النظرية الصارمة. أي ابتعد عن تبني احدى هذه المدارس كأبجدية مكتملة، ليستغلها كمفردات. ويكون بذلك قد تحرر من كل ربق أو جماعة أو لغة جاهزة. (كل المدارس تخضع لنظريات جاهزة وهذا مقتلها).

نقول هذا من دون أن نغفل أن نيرودا الذي نأى بنفسه عن الارتباطات الجمالية المحددة، قد التزم الفكر الماركسي، أو الشيوعي كمناضل وكحزبي حتى آخر أيامه. هل هو تناقض؟ ربما! لكن علينا أن نعرف أن نيرودا بقي في مجمل نتاجه ذا التزام مفتوح. شيوعي منفتح. بلا علامات مفروضة. ولا ارتباط مقنن. أي انتصر الشاعر على الإيديولوجيا. وعلينا أن نعرف انه، وعدا بعض شعره السياسي المباشر، كتب معظم شعره خارج هذه الإلتزامات الإيديولوجية الضيقة، سواء في "حجارة التشيلي" أو في "قصائد الحب"، أو في "سيف اللهب"... وهي أعمال مشرعة على الشرط الإنساني العمومي لكن عبر تواريخ وطنه تشيلي وأميركا اللاتينية. (هكذا كان لوركا والبرتي بالنسبة الى إسبانيا، وناظم حكمت بالنسبة الى تركيا)، بل وعلينا أن نلاحظ أن نيرودا وظف كل العناصر والمدارس الجمالية في زمانه، في خدمة قصيدته الخاصة. أي قصيدته التي بقيت خارج التصنيف. ولكن يجدر بنا أن نلاحظ أنه إذا كان نيرودا من أصحاب الضربات الجمالية العالية، وتلك الكيميائية الخصبة في صهر العناصر لصوغ قصيدة متماسكة، فإنه في المقابل بقي شاعر الضوء بامتياز. أي شاعراً لم يلجأ وعلى امتداد مراحله (عدا مرحلة شبابه عندما انفعل بكثير من السوريالية أو الرمزية)، لا الى الغموض، ولا الى الالتباس (علماً بأن صورته بعناصره تؤدي الى التباس مضيء، أو التباس بلا تعمية)، ولا الى الصيغ الوعرة، ولا الى عتمة الداخل، ولا الى التمارين اللغوية (كريمون كلينو وفيليب سوبو)، ولا الى اجتراحات شكلانية. انه كالويار شاعر البساطة (لا التبسيط) ولوركا (وإن بدت السوريالية أكثر تأثيراً فيه)، وناظم حكمت ذو سلاسة صعبة. أي ذو سهولة مركبة. وهو بذلك ابتعد عن "ظلمة" الداخل عن اليري، واغلاقية مالرمه، وصوفية رمبو... ذلك أن الغموض، إذا كان موجوداً عند نيرودا، بالمواصفات (الرمزية أو السوريالية بناء على الإيحاء وتراكم العناصر)، فإنه غموض شفاف، غموض يضيء الداخل، والفكرة، والموضوع. لا غموض طالع من تجريبية لغوية، أو تكسير فنون، أو تحطيم معانٍ، أو طمس علامات، أي لا غموض تجريبياً متصلاً بفكرة مسبقة أو بقلق شكلي يريد تطبيقهما. فهو بعيد عن المختبرات، بُعدَه عن إرادة تسجيل أهداف "طليعية" مجردة على صعيد التجربة الشعرية، أو تحقيق "بيانات" إيديولوجية ترتبط بجماعة أو بفرقة. فلنقل أن غموضه "ضوئي" لا معتم (وأنا لا أفاضل هنا). غموض العناصر الطبيعية والإنسانية في تبادليتها ضمن إطار جمالية ما.

ونظن أن استغلال الأساطير والحكايات والتاريخ عند شاعرنا، ما هو إلا سير أو تحليق في ظواهر غرائبية أو تخييلية تصب في نوع من الإدهاش، قد يلتقي السوريالية لكن يفترق عنها. أقصد أن كل أسطورة هي "فعل" مركب وإدهاشي في ذاته، ينفتح على مجمل الظواهر "العجيبة" و"الغريبة" لأنه يتجاوز الحسابات "العقلانية" الى ما هو مقدس، أي الى ما هو فوق عقلاني. هذه هي طبيعة الحكاية. أو الأسطورة. هذه الجماليات الغامضة بمثابة جسور الى الآخرة، لا فجوات ولا جدران. ذلك أن نيرودا هو شاعر الذات وشاعر الآخر بامتياز.

ولكن هل هذا يعني اننا يمكن إدراج نيرودا ضمن لائحة الشعراء الشعبيين؟ (أو الشعبويين كما هي حال كثير من شعراء الإيديولوجيا والأحزاب؟). هذه النقطة حساسة جداً وملتبسة. ذلك أن نيرودا، هو، أصلاً ذو انعطافات شعبية بطبيعة تركيبه وتوجهاته ومفهومه لدور الشاعر والمثقف. لكن هذه الانعطافات "الفكرية" قد لا تتحقق في ميدان القصيدة النيرودية بالشكل الكامل. صحيح أن لديه كثيراً من القصائد "المناسبة" صاغها لأهداف آنية كان يوزعها أو يلقيها في تجمعات عمالية أو ثقافية أو حتى جماهيرية، ثم تطوى بانطواء المناسبة، لكن الأصح أن نيرودا ليس شاعراً شعبياً بالمفهوم الاستهلاكي أو السياسي أو الآني. فشعره يحتاج الى تأمل، والى درجة ما من الثقافة، والوعي الجمالي، والتلقي الإيجابي (النقدي)، أي انه شاعر مُهيأ ليُقرأ في كتاب. لا يسمع في مهرجان. حتى قراءاته تحتاج الى جهد قد لا يقوم به سوى "النخب" (مع انه يعارض مفهوم النخبة). فقصائد مثل "النشيد العمومي" أو "السيف الملتهب"، أو "يوميات الإقامة"... أو حتى "حجارة التشيلي"، هي قصائد ذات بُنى مركبة. أي قصائد كتبت ضمن مشاريع كتب. وهنا نصل الى نقطة هامة: قلّما كتب نيرودا قصائد متفرقة. كانت كل قصيدة عنده (أو معظمها) مشروع كتاب مؤلف بدأب وصبر وبهواجس فنية عالية. معظم قصائده طويلة. تمشي في الزمن (على عكس رينه شار مثلاً الذي لم يكتب سوى قصائد قصيرة باستثناء (أوراق هيبنوز"). ويعني ذلك أن هاجس "الكتاب" كتجربة متكاملة كان يسكن بال نيرودا. هذه الناحية، وارتباطاً بقصيدته المركبة لا المبسطة، تعني القارئ "المبدع" الجلود والمكتشف والمتفاعل (لا المنفعل فقط). أكثر مما تعني القارئ الجوال، أو الهتّاف، أو العابر.

انه عام نيرودا في وطنه تشيلي وفي العالم كله. عالم شاعر كبير. وعالم كبير. وتراجيدي كبير، استخلص في شعره عصارة قارة كاملة، بكل تواريخها، وأساطيرها، وأحلامها، وأفكارها، ونضالاتها، ودكتاتورييها، وسجونها، ومنافيها. شاعر القارة هو الشاعر القارة.

عن كتاب مختارات من شعر نيرودا وترجمة بول شاؤول ٢٠٠٤

إذا كان ماركيز قد وضع لمذكراته عنواناً طابعه بوحي اعترافي (عشت لأروي) فإن بابلو نيرودا قد عايش حالة الاعتراف أكثر وسمى مذكراته (أعترف بأنني عشت)!! ليس سهلاً أن يقدم أي من البشر على هذه الإفادة المثيرة والمستفزة لبشر،، يعترفون بأنهم لم يعيشوا قط؟ وهكذا عنوان سيضعنا على تخوم تعريفات جديدة للحياة.. وليس غريباً أن بابلو نيرودا الحائز على نوبل للآداب وصديق لوركا وبيكاسو وبول ريلوار والذي بقدر ما كان شاعراً وسياسياً ودبلوماسياً يسارياً كان ممتلئاً بالحياة يحب الخمر والنساء (ثلاث زوجات وعدد كبير من العشيقات).

نيرودا عاش بين ١٩٠٤ - ١٩٧٣ ولد في تشيلي واسمه ريكاردو نيفتالي ريس باسوالتو وغير اسمه في السادسة عشرة إلى بابلو نيرودا إعجاباً بالكاتب التشيكي يان نيرودا وكان في العشرين من عمره عندما نشر قصائده الشعرية الأولى: (عشرون قصيدة حب، وقصيدة يأس).

هرب على صهوة حصان عبر جبال الأنديز فاراً من ديكتاتور تشيلي غابرييل غونزاليس فيديلا وعاش في المنفى الأوروبي ثلاثة أعوام وعند عودته إلى بلاده ترشح للرئاسة وباللحظة الأخيرة تنازل لمصلحة سلفادور الليندي، وعاد إلى باريس سفيراً لبلاده وحول طاحونة قديمة قرب باريس إلى منزل وعاش فيه مع حبيبته وزوجته لاحقاً الشهيرة –ماتيلدا– التي كتب فيها أجمل قصائده.

الانقلاب الدموي الذي قام به الجيش بقيادة بينوشيه المدعوم من المخابرات الأميركية ضد حكومة الليندي اليسارية والرئيس المنتخب ديمقراطياً سرع بنهايته وزاد من وطأة مرضه وبدعم من المخابرات الأميركية خربوا منزلاً له، وحين زاروه ليلاً عقب الانقلاب وقبل وفاته بأيام واجههم بعبارته الشهيرة (لاشيء هنا سوى الشعر والكلمات).

وجاءت حكومة بينوشيه الانقلابية للإسراع بدفنه ورفضوا دفنه في بلدته ودفن بالمقبرة العامة وانتظر رفاته هناك عشرين عاماً ليتسنى له العودة إلى مسقط الرأس.

قبيل وفاته بأيام احتاج لعناية طبية فقررت ماتيلدا نقله إلى المستشفى وفي الطريق أوقفهما الجنود وأنزلوهما من السيارة وأخذوا يفتشون كل شيء دون أن يستجيبوا لرجائها بالسماح له بالتوجه به إلى المستشفى فيما كان هو يراقب ذلك صامتاً يقطر وجهه أسى واكتفى بأن قال لها: (امسحي وجهي باتوجا –اسم الدلال لماتيلدا–) وتذكر أنه آخر ما نطق به كان: (أنا ذاهب..).

في صباح اليوم الذي مات فيه نيرودا يتذكر صديقه فلاسكو أنه ذهب إلى بيته وشاهد جموعاً كبيرة من الناس تشير إلى مخلوق غريب داخله وعندما دخل غرفة الشاعر وجد نسراً ضخماً.. عندها تذكر أن نيرودا كان يردد بأنه إذا كانت هناك حياة أخرى فيتمنى أن يتحول الى نسر ؟!.

وعندما اتصل فلاسكو بماتيلدا وأخبرها عما شاهده قالت من دون تردد: ذاك هو نيرودا.. رغم غرامياته الكثيرة إلا أنه كما معظم مبدعي ذلك الزمن كما (أراغون و الساد – دالي وجالا – بيكاسو دورا مار)، فقد اشتهر نيرودا بحبه الكبير لماتيلدا الذي خاطبها بمطلع قصيدته الشهيرة: (اجتاحيني بثغرك كما العواصف... لا أحبك كما لو أنك وردة من ملح/ أو حجر من ياقوت، أو سهم من قرنفلات تشيع النار: أحبك مثلما تحب بعض الأمور الغامضة سراً بين الظل والروح/ أحبك مثل النبتة التي لا تزهر/ وتخبئ في داخلها ضوء تلك الزهور/ أحبك دون أن أعرف كيف أو متى أو أين، أحبك بلا مواربة، بلا عقد، وبلا غرور/ هكذا أحبك لأني لا أعرف طريقة أخرى).

هكذا كان نيرودا جارفاً، عاتياً، مجلجلاً، فيما يكتبه كما قال عنه لوركا: أقرب للدم منه للحبر.

هكذا عرفت نيرودا

ماريو فارغاس يوسا

حينما كنت طفلا في سروالي القصير هناك في كشاكومبا في بوليفيا، حيث قضيت السنوات العشر الأولى من حياتي كانت أمي تحتفظ في خزانتها بنسخة من كتاب مرشوش ببقع زرقاء ونهر من النجوم البيضاء عنوانه: عشرون قصيدة حب وأغنية يائسة لبابلو نيرودا ••كنت أقرأ الكتاب وأعيد قراءته ••وكنت حديث عهد بالقراءة وكان منع أمي لي من قراءته بدعوى أنه ليس موجها للأطفال يزيد على نحو هائل من جاذبيته تلك ويضفي عليه إكليلا من السحر والفتنة• كنت أقرأ ه سرا دون أن أعرف ماذا تعني تلك الأبيات، ما كان يثيرني فيها هو أنني كنت أشعر أنه يثوي خلف علاماتها التعجبية عالم تعربد فيه الخطيئة:

جسدي جسد فلاح خشن
يحرثك ويقذف بالطفل من خارج أعماق الأرض
أواه يا أزهار العانة!"

نيرودا كان أول شاعر حفظت أشعاره وقرأتها على مسامع فتيات عشقتهن في مراهقتي•• وكان أكثر من قلدتهم حين بدأت أولى خربشاتي الشعرية، كان الشاعر الملحمي الثوري الذي رافق سنواتي الجامعية،وصاحب انبثاق وعيي السياسي ونضالي في منظمة Cahuide خلال السنوات الكارثية لدكتاتورية Odria• في الإجتماعات السرية لخليتي كنت أحيانا أتوقف عن قراءة كتاب ما العمل للينين أو المقالات السبع لـ Mariàtegui لأنخرط بخشوع في قراءة صفحات من الغناء الشامل أو إسبانيا في القلب•

بعد ذلك، وفي مرحلة الشباب ولو أن قراءاتي اتخذت مسارا أكثر جدية واتخذت مسافة نقدية واضحة من شعر الدعاية غير أن نيرودا ظل بالنسبة لي شاعرا رائدا وظللت أفضله حتى على أحد الرموز الشعرية لسنواتي الأولى الشاعر الكبير César Vallejo ، لكن ليس نيرودا الغناء الشامل ولكن نيرودا الإقامة في الارض •• الكتاب الذي قرأته وأعدت قراءته مرات عديدة وهو ما لم أفعله إلا مع أشعار Gongora أو بودلير أو روبين داريو •• الكتاب الذي لا زالت البعض من قصائده من قبيل الأرمل ورقصة الطانغو و رجل وحيد تكهرب ظهري وتطوح بي في أقصى درجات الانتشاء •• هذه الحمى السعيدة التي لا تستشعرها إلا إزاء الأعمال الخالدة والمطلقة•

تعرفت شخصيا على بابلو نيرودا في باريس في سنوات الستينيات في منزل جورج إدوارد•• لا زلت أتذكر لحدود اللحظة الإحساس الذي غمرني وأنا أقف أمام نيرودا بلحمه وعظمه•• أمام الرجل الذي كتب شعرا يشبه محيطا من بحار متنوعة ولانهائية من كائنات حيوانية ونباتية، شعرا لا حدود لأعماقه ولا حدود لغناه•• إحساس جعلني أفقد القدرة على الكلام•• ثم رحت تدريجيا أغالب تلعثمي وأنطق بكلمات تفيض إطراء ••وفيما كان هو يتلقى عبارات الإطراء بتلقائية الملوك والسادة المرموقين انبرى يصيح: "بما أن الليلة رائعة تعالوا بنا نأكل قطع اللحم المحشوة التي أعدتها عائلة إدوارد"كان نيرودا بدينا، لطيفا، نماما، معتدا بنفسه وذا شهية مفتوحة (صاح في ماتيلد Mathilde اذهبي إلى ذلك الصحن واختاري لي أفضل ما هناك) •• كان بارع الحديث سباقا لكسر الجليد بينه وبين مخاطبه وجعله لا يشعر بقوة حضوره الكاسح•

رغم أننا فيما بعد صرنا أصدقاء حقيقيين فقد ظل بالنسبة لي الكاتب الوحيد الذي لا أستطيع مطاولة قامته، رغم وده وكرمه معي ظل إحساسي اتجاهه مشوبا بنوع من الرهبة والتقديس•• شخصه كان يسحرني ويشدني مثلما كانت تسحرني وتشدني قصائده•

كان شديد الحرص ألا يظهر بمظهر المثقف، ولم يكن يخفي ازدراءه لتنظيرات النقاد وتأويلاتهم•• حينما كان أحدهم يقوم بإثارة قضية مجردة أو نقاش أفكار كانت تعلو وجه نيرودا مسحة من الحزن، ويبدأ في التحايل للنزول بالنقاش إلى الأرض •• إلى النكتة والمستملحة والتعليق البسيط•• كان يحب البساطة والمباشرة وكان ينفر ممن يسميهم بـ الكتاب الكتبيين الذين يرددون مع بورخيس: قرأت كثيرا وعشت قليلا كان يحب أن يعتقد الناس أنه قرأ أقل وعاش أكثر • لم يكن في كلامه مجال للإحالات أو الحماس الأدبي حتى وهو يستعرض بافتخار الطبعات الأولى لأعماله والمخطوطات الجميلة التي تمكن من جمعها في مكتبته الرائعة، كان يتجنب التقييمات الأدبية ليركز اهتمامه حول الجوانب المادية الصرف لتلك التحف الزاخرة بالكلمات•

نزعته اللامثقفية كانت تنطوي على قدر غير يسير من التصنع، لأن شخصا من هذا العيار ما كان ليتأتى له تثوير الكلمة الشعرية في الإسبانية، وما كان له أن يكتب شعرا متنوعا وجوهريا لولا القراءة والاستيعاب الجيد لأجود الأعمال الأدبية• الخطر الأكبر بالنسبة للشاعر .حسب نيرودا. هو أن يزج بنفسه في عالم الأفكار والمجردات وكأنه بهذا الصنيع يطفئ ضوء الكلمة ويسكت نبضها ويبعدها عن الساحة العامة ويطوح بها في السراديب•

تصنعه هذا لم يطل حبه للمادة، للأشياء والمواد القابلة للمس، والمشاهدة، والشم، بما في ذلك حبه للطعام والشراب•• فإقامات نيرودا .وخاصة منزله الكائن بالجزيرة السوداء La isla negra . هي عبارة عن تحف لا تقل عن أكثر قصائد الشاعر روعة وجمالا•

كان ولعه شديدا بالتقاط المجسمات التي تثبت عادة في مقدمات السفن •• بقوارب أعواد الكبريت المحشوة وسط القناني ••بالفراشات•• بالقواقع البحرية•• بالتحف الخزفية والكتب القديمة•• تحس وأنت تدخل منازل نيرودا أنك مغموس في مناخ من السحر والشهوانية الباذخة•

كان ذا عين لا تخطئ اصطياد الأشياء الغريبة والاستثنائية•• عندما يعجبه شيء ما يتحول إلى طفل نزوي مجنون لا يهدأ له بال حتى يحصل عليه•• أتذكر رسالة رائعة كتبها لجورج إدوارز يستعطفه فيها أن يشتري له بضعة طبول رآها تباع بإحدى المتاجر لدى عبوره بالعاصمة البريطانية، قال له:ما بال الحياة غير مستساغة بدون طبل؟

في صباحان الجزيرة السوداء كان يلبس طاقيته البحرية ينفخ في النفير ويرفع فوق العمود المركوز فوق الشاطئ رايته التي كانت عبارة عن سمكة•

كان منظرا رائعا أن ترى نيرودا وهو يأكل، حين تعرفت عليه في باريس وأنا أسجل معه مقابلة لفائدة الإذاعة والتلفزة الفرنسية طلبت منه أن يقرأ لي قصيدة الملك الشاب من ديوانه الإقامة في الأرض• رحب بالفكرة وعند عثوره على الصفحة المطلوبة تعجب قائلا: لكنها قصيدة نثر• أحسست بنصل ينغرس في قلبي، كيف أمكن لي أن أنسى إحدى أجمل ما أبدعه قلم هذا الشاعر من قصائد• بعد انتهاء المقابلة رغب نيرودا في تناول وجبة عربية •• وفي المطعم المغربي الموجود بشارع Laharpe استغنى عن الشوكة وطلب ملعقة ثانية •• كان يأكل بتركيز وسعادة شاهرا ملعقة في كل يد وحاله في ذلك حال الكيميائي الذي يحرك أنابيبه موشكا أن يتوصل إلى التركيبة النهائية••

يحصل لك انطباع وأنت تشاهد نيرودا يتناول طعامه بأن الحياة جديرة بأن تعاش وأن النعيم ممكن وأن شرارته قد تنبعث من مقلاة ••

بما أن نيرودا استطاع أن يكون مشهورا بكل هذا القدر وأن يحقق كل هذا النجاح والازدهار في العالم كله، فقد أيقظ من حوله مشاعر الحسد والضغينة حيثما حل وارتحل••لدرجة أن هذا قد نغص عليه بعض لحظات حياته•• أذكر مرة أني أطلعته وأنا في حالة من الاستياء الشديد على مقتطع جريدة يهاجمني فيها أحدهم فرمقني كمن ينظر إلى طفل ساذج قائلا: لدي صناديق مملوءة بمثل هذه المقتطعات•• وما من شر أو مفسدة أو خسة إلا واتهمت بها في يوم من الأيام•

في الحقيقة كانت لديه قدرة عجيبة على الدفاع عن نفسه، ففي فترات معينة من حياته امتلأت أشعاره بالشتائم والتشهير .على نحو شرس .بخصومه، لكن الغريب هو أنني لم أسمعه يوما يتحدث عن أحد بسوء أو رأيته يمارس تلك الهواية الأثيرة.

كان ذا عين لا تخطئ اصطياد الأشياء الغريبة والاستثنائية•• عندما يعجبه شيء ما يتحول إلى طفل نزوي مجنون لا يهدأ له بال حتى يحصل عليه•• أتذكر رسالة رائعة كتبها لجورج إدوارز يستعطفه فيها أن يشتري له بضعة طبول رآها تباع بإحدى المتاجر لدى عبوره بالعاصمة البريطانية، قال له:ما بال الحياة غير مستساغة بدون طبل؟ في صباحان الجزيرة السوداء كان يلبس طاقيته البحرية ينفخ في النفير ويرفع فوق العمود المركوز فوق الشاطئ رايته التي كانت عبارة عن سمكة.

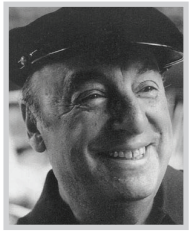

عن صحيفة El PAIS
ترجمة شيماء سامي

تســـــــاؤلات نـــــيرودا

في لحظات توجس الذات ، تتجه مجسات العقل لفتح باب يطل على الطمأنينة او البراءة بهدف الوصول الى السكينة و التمكن من القلق و تقشير خشونة العالم ، و قد تكون الطفولة احد اوجه تلك البراءة و مكمن الطمأنينة المنشودة ، لكن نيرودا الثوري بأبعاد ثوريته الثلاثة (الشاعر / العاشق / السياسي) اقتنصها بحكمة شيخ مدمن الوجود ، مختارا قرار الاستمرار قبل الحياة و بعد الموت في مناهضة صارمة لكنها تتميز بالهدوء ايضا للموت الزاحف نحوه بزي سرطان الدم ، فيختزل نيرودا كل هذا في جملة قاطعة ، لكنها ذات افاق متعددة : ماذا يقول عن شعري الذين لم يلمسوا دمي ؟! ما اجترحه نيرودا / الثائر في تطلعاته الممتدة تحت اغشية الحياة ليس سوى استهداف للمتكدس على غلاف العالم الذي يراه الاخرون على السطح و لا يفهمون ما يتكاثر تحته من استفسارات وتناقضات و لا اجوبة ،

رنا جعفر ياسين

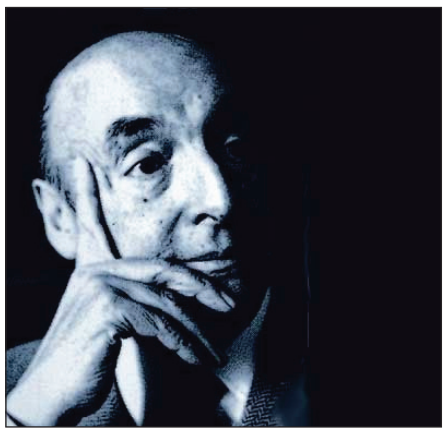

نيرودا شابا

و تلك الاجتراحات المنسابة في تدوينه الاخير (كتاب التساؤلات)× و الذي انهاه قبل وفاته ببضعة اشهر ما انفكت تؤكد تواشج وعيه مع براءة الطفل الذي مازال حيا فيه ، فحينما يدرك العالم و يمسك كدفتي كتاب مقروء حد الفهم و الهضم ، يعود المتسائل في رحلة عكسية نحو الذات الاولى / الطفولة ، فيستقرأ نيرودا المنحنيات و الانعطافات في مدار جوانيته التي يشك بما تحتويه من كم الطفولة ، فيقودنا في سلسلة براءات و استحضارات و تخيلات يانعة تعكس سخرية ذلك العجوز من البدء و الانتهاء ، رافضة ما يحيل الحلم الى فراغ داكن ، مندية بما يشوب الروح من تجعدات ، معلنا كل ذلك في نمط سؤالي يتسم بالرصانة و الهدوء ، و اللامبالاة ايضاً ، كمن ينهجى المثير للدهشة في مرته الاولى :

هل في الحياة أسخف من أن تدعى بابلو نيرودا ؟
من أسأل عما جئت أصنعه في هذه الدنيا ؟
أين الطفل الذي كنته ؟ أما زال بداخلي ، أم رحل ؟
أيعلم أني لم أحبه و أنه لم يحبني ؟ لماذا أنفقنا كل هذه السنين نكبر لنفترق ؟ لماذا لم نمت عندما ماتت طفولتي ؟

لكن نيرودا يدرك في سره حياة الطفل داخله ، و ان كان يبدو عليه ان هناك ثمة تساؤل ، لكن هذا ليس سوى نوع من مراوغة الذات و محاولة اقناعها بزوال الازمنة بالتتابع ، لاسيما و ان الطفولة تندرج في سياق ماض يحاول هو اظهار عدم التشبث فيه ، لكن الالتفاف حول الطفولة ينكشف من خلال الموائمة بين عبث الطفل و حكمة الشيخ في منطقة غرائبية / استهجانية / بريئة / و منكرة ترفض الواقع و انعكاساته المتشظية من خلال صوت الثوري المنبثق من سكينة تكترث بالسعادة ابداً :

أين ترك البدر كيس طحينه الليلة ؟
سأل الجمل السلحفاة : ماذا تحرسين تحت السنام ؟
فأجابت السلحفاة : ماذا تقول للبرتقال ؟
لو نفذ اللون الاصفر ، فبماذا نصنع الخبز ؟
هل صحيح أن الشهاب كان حمامة ارجوان ؟
علامَ يضحك البطيخ ساعة ذبحه ؟
حين يتأمل السجين النور ، فهل هو النور نفسه الذي يسقط عليك ؟
ما لون نيسان بالنسبة للمريض ؟

و نيرودا الذي اعتبر بيكاسو الشعر يحرص في تأملاته ان يظل بعيدا جدا عن النمطية ، منتقلا من صورة نحو اخرى ، فكان المناهض للقبح / الذواد عن الفضائل / القارئ للجمال دونما منغصات / الباحث عن الأمل في آخر شهقة حظ / المتحسس مواقع الاصفرار في الروح و المعلن عنها / الدائم الاخضرار خارج هالة وجوده / العاشق بلون متوهج / الثائر الذي يتردد بين الحين و الاخر بين العقيدة و الاديلوجيا / المتماهي مع الهواء الاول / البارع في رسم نص مغاير ، عصي الامساك بالصورة الشعرية بشكل تقليدي ، و انما بشكل مراوغ للتأويل ، المستفهم بنبرة واطئة عميقة :

– لماذا لا يدربون المروحيات على جني العسل من الشمس ؟
– لماذا لا تحلق الطائرات العملاقة مع اطفالها ؟
– هل تنزلق الكلمة أحياناً كالأفعى ؟
– من المذنب ، الصرخة أم الاسماك الملطخة بالدم ؟
– كم سؤالاً عند القطة ؟
– هل هذه الهدنة الدائمة نظام أم حرب ؟
– هل يغضب النمل لو صنع الذباب العسل ؟
– لماذا يعرض الربيع ملابسه الخضراء من جديد ؟
– لماذا تنتحر الاوراق عندما تشعر بالاصفرار ؟
– لماذا يكتبون في العصور المظلمة بحبر خفي ؟
– أي شغل شاق يقوم به هتلر في الجحيم ؟ يدهن الحيطان أم الجثث ؟ يستنشق أدخنة الموتى ؟
هل يطعمونه رماد الاطفال المحروقين ؟

و بينما هو يتنقل بين أقبية الحياة و أزقتها ، كان بابلو نيرودا يدرك بأن الزمن العام الخارجي لا يشبه زمنه ابدا ، لا الساعات هي الساعات و لا الاعوام مشابهة ، فزمنه يصل بعضه البعض بلا فواصل غير انفجارات أهوائه و تلاوينه المترامية ، و هكذا فهو يقترح زمنه الخاص المنبثق من امساكاته الخاصة و اشتهاءاته الدؤوب ، ايضا يحاول اشعال الفتنة للثورة على المحسوب و المحصى لانتظار القادم ، و ربما تخيل شكل المجهول ، و قد يستعين بمشاكسة بكر لا تريد ان تكبر بتاتاً :

– ما اسم الشهر الذي يأتي بين كانون الاول و كانون الثاني ؟
– كم عمر تشرين الثاني ؟
– كم نحلة في اليوم ؟
– بأي حق أحصوا حبات العنقود الاثني عشر ؟
– لماذا لم يعطونا شهوراً طويلة تدوم كل السنة ؟
– ما الصورة الحقيقية لنهاية المستقبل ؟

و من زمنه الخاص / المقترح ، لم يغمض نيرودا قناعته بأن الروح انما هي تجوال دائم ، و قناعاته بالوجود ماهي الا ترجمة انسانية لعبور تلك الروح لإجساد متنوعة بالتعاقب ، و مصدر قناعاته تلك ربما من كون الشاعر مارد منتقى معمد بتهاليل الكون ، مادته روح خاصة ليست مألوفة ، و ليست مجبولة سوى على الانتقال من مادة الى اخرى اي من جسد الى اخر ، و بهذا يكون للموت عنده شكل النوم المؤقت في رحلة جوية تنفخ في الزمان و المكان حدثاً مختلفاً ، مستنكراً ان يكون هناك موت بمعنى الرقاد الابدي ، مستفسرا في احيان اخرى عن مدى حقيقة ان تنوجد للروح حياة واحدة تنتهي بالتوحد مع الارض بصمت مثلما كانت البداية بالتوحد مع الهواء على سطح تلك الارض بصرخة طفولية تنذر بالبدء في منغرس عشقه (شيلي) :

– لماذا اخترت الهجرة اذا كانت عظامي تسكن شيلي ؟
أين تذهب أشياء الحلم ؟ هل تنتقل الى احلام الاخرين ؟

أين ينتهي قوس قزح ؟ في روحك أم في الافق ؟
ماذا ستفعل عظامك المحطمة ؟ تبحث عن شكلك من جديد ؟ هل يذوب حطامك في صوت آخر و ضوء آخر ؟ هل تصبح ديدانك جزء من الكلاب أم الفراشات ؟
هل يقبل فمك القرنفل بشفاه اخرى ؟
هل يتكون الموت من العدم أم من مواد خطرة ؟
هل وجدت نفسي أخيراً من حيث أضاعوني ؟
اذا مت و لم اعلم بموتي فمن أسأل عن الوقت ؟
أخيراً ، أ ليس الموت مطبخاً متصلا ؟

يبقى بين كل هذا و ذاك حاجز من القلق يستوي بين النضج و البراءة في مخيلة بابلو نيرودا يستند اليه في مواجهة رحلته التي استوعب جيدا مفرداتها و اشاراتها متمكنا دائما من ايجاد معادلات في الشعر قادرة على ابراز المعنى في صورته اليومية ، و معززا في نفس الوقت هجسه من الفصول و هي تتعاقب للنيل من روحه و سجنها في جسد قد لا يروق له فيما بعد ، و وضعها في دلالاتها المرتبطة بتوالد سنوات العمر ، كما وانتخب مادة الطبيعة لمعيار صورته الموجزة (الارض / الولادة ، السماء / الحرية او المجهول ، الشجرة / الحياة ، الجذور / الطفولة ، الأوراق / العطاء) غير متناسيا لمعان اللون في شحذ كل ما اراد ان يقول :

لماذا تنتحر الاوراق عندما تشعر بالاصفرار ؟
ماذا تعلمت الشجرة من الارض ؟
لماذا تخفي الاشجار روعة الجذور ؟
في الشتاء هل تعيش الاشياء خفية مع الجذور ؟
من هلل لولادة اللون الازرق ؟
أ صحيح أن الخريف ينتظر أمراً وشيكاً؟ ربما ارتعاشة أو حركة في الكون ؟
متى صدر تحت الارض مرسوم بتسمية الوردة ؟
و لما كان للحضور عنده معنى مشتبك ، ضبابي و غير مفهوم غالبا ، لذا نراه في بعض المحطات خاضعا لارجحة متكررة أو استنكار سودادي ، يؤكد في اي منهما مناخ النهاية المسيطر عليه ، و الذي يبدو انه لم يكن يعتبره معطيا للحرية على عكس الكثير من الشعراء ، ربما لانه يريد اقتناص كينونة اكبر ، فيستدرك في بعض المواقع عجزه عن وضع مسميات او معرفة ماهية ما يمر من بين يديه ، مأزوماً بانتظار ما يحاول التنصل منه ، تغمره اللاجدوى ، و لكن هذه المرة بوعي رجل خالص :

– هل يقاسي الذي ينتظر دائما أكثر من الذي لم يجرب الانتظار ؟
– على أية نافذة وقفت اراقب الزمن المدفون ؟ أو هل ما ارى من بعيد ما لم أحيه بعد ؟
– ماذا نسمي الاعاصير حين تنتهي ؟
– في بحر اللاشيء هل ثمة ملابس للموت ؟
– ماذا تعني مثابرتك في دهليز الموت ؟

للمعتاد سطوة كبيرة يعرفها بابلو نيرودا جيدا ، لكنه اراد ان يتوغل في التماهي مع السابق و المنتظر ، منتصرا في (كتاب التساؤلات) الى البراءة في زي الحكمة و هي تختصر مساحة (مثلث الثورة في داخله) الشاعر والعاشق و السياسي لتتمركز في الانسان الممتد من الولادة حتى الشتاء و هو يدافع عن تجواله بصوته الذي يعلن لأول مرة الطفولة على الملأ .

لم يمتلك بابلو نيرودا شاعر شيلي الذي ملأ الدنيا و شغل الناس ،موهبة كتابة الشعر الرائع فحسب بل تمتع أيضا بقدرة فائقة على رصد الطبيعة و مظاهرها المتنوعة بعيون الخبير و المطلّع ، و من ذلك جمال الطيور و مراقبة حركاتها. أن نيرودا الذي كتب عليه أن يعيش مرتحلا من شيلي و اليها كان ، و على طريقة الشاعر الأنكليزي وردزورث و زملائه الرومانسيين ، يرصد جمال وطنه عن قرب و يخزنه عميقا في عقله و قلبه صورا تتفجر بعد حين عيونا تفيض حبا و ولها بشيلي و ما فيها.

طيور بابلو نيرودا

محمد زجيب لفتة

، تبدو غريبة في بعض الاحيان ، حول حاضر الانسان و مستقبله . أن نيرودا شاعر غزير الأنتاج الأ أن كتبه أمتازت بالوحدة على مستوى الاسلوب و الهدف . أن ديوان " فن الطيور " الذي صدر في العام ١٩٦٦ شاهد أخر على عبقرية نيرودا الشعرية ، و هو يجسد حبه للطيور و مخصص بأكمله للحديث عنها ، لطيور شيلي التي رافقته في رحلته الى الأرجنتين ، منفاه الذي أختاره الشاعر هربا من مطاردة الشرطة له (أضطر نيرودا و لمدة سنتين العيش مختبئا يتناوب أنصاره و محبيه على نقله من بيت الى أخر بعيدا عن عيون أجهزة الدولة و السبب أنتقاداته اللاذعة لسياسة الرئيس غونزاليس فيدالا القمعية ضد عمال المناجم عام ١٩٤٧) . قطع نيرودا جبال الانديز و غاباتها التي تفصل البلدين مشيا على الاقدام .(يرجى العودة الى كلمة الشاعر التي القاها عند أستلام جائزة نوبل في الاداب ١٩٧١ للاطلاع على مزيد من التفاصيل) . الأ أن عيون الشاعر أبت و هي في قلب المحنة الأ أن ترصد تلك الكائنات الجميلة التي وكأنها بغنائها و صدحها أرادت أن تودع الشاعر و تسجل صورة أخرى لشيلي حرص الشاعر على أن ينقلها بعد ذلك للقراء. (الجميل في الامر أن جاك شميت الأستاذ في جامعة تكساس الذي ترجم الديوان الى الأنجليزية و الذي نقلت أنا ترجمته للديوان الى العربية لكنها أي الترجمة العربية لم تر النور بسبب البيروقراطية ثم ظروف الأحتلال ،و اعتقد انها قابعة في احد دهاليز دار الشؤون الثقافية العامة حيث تركتها هناك قبل أكثر خمسة عشر عاما ، او ربما احرقت أو نهبت أو أو ..) ،أقول أن الرجل قرر القيام بالرحلة ذاتها التي قام بها نيرودا عبر جبال الأنديز حتى يعيش التجربة حسب ما يقول بمجمل تفاصيلها) ضمت دواوين الشاعر الاولى قصائد عديدة تغنت بالطيور مثل " قصيدة لطيور شيلي " و " قصيدة لمراقبة الطيور " و "قصيدة للطائر الطنان " و "قصيدة للقطرس المرتحل ". يضم الديوان أربعين قصيدة تتحدث عن طيور شيلي و ترحالها و اساليب طيرانها و عن طيور حلقت في خيال الشاعر ،مثل (الطائر أنا و والطائر هي) و الرنان الاكبر. في قصيدة فلامنغو شيلي يصف نيرودا ذلك الشعور الذي انتابه و هو يرى للمرة الاولى طائر الفلامنغو بحلته الوردية:

ملاك وردي
مر بطيئا يصفق بجناحيه،
جسده جُبل من الريش
و جناحاه تويجة وردة.
أنه وردة تطير متمايلة
صوب العذوبة.
أستقر الملاك فوق سطح الماء
مثل زورق لؤلؤي و رقبته الوردية التي
تشبه غصن زهرة
تلمع في النور.

و نحن نتابع قصائد الديوان تتشكل أمامنا خارطة لطيور شيلي و هي تحوم و ترقص على السواحل وفوق الجبال ، و تتحول الطيور و تحليقاتها الى صورة أخرى لمحاولة الشاعر أن يعيش حياة تلك الطيور بكل تضاريسها و صولا الى تحقيق اهدافه . يرى نيرودا أن الطيور و تحليقاتها هي كناية لقدرات الانسان الكامنة.

يقول نيرودا في قصيدة التحليق :

العالم كرة زجاجية .
أذا لم يحلق الأنسان ضل طريقه
و لن يفهم معنى الشفافية.
لذلك سأعتنق الوضوح التام. من الطيور
تعلمت الأمل الوقاد
و صدق التحليق و يقينه.

و في قصيدة (الشاعر يودع الطيور) كتب نيرودا يقول :

شاعر شعب قروي و عاشق طيور ،
جبت العالم ابحث عن الحياة :
عرفت الأرض طيرا أثر طير ،
و أكتشفت أين تشتعل النار في الأعالي
و أين تتبدد الطاقة ،
و حيثُ تكافيء اللاابالية . بالرغم من أني
لم أكافيء عليها ،
لأنني حصلت على تلك الأجنحة لروحي و
لم يقيدني الجمود.

و عندما يتحث نيرودا عن طيور بلده فأن قصائده تعانق جميع طيور العالم.لنستمع اليه في قصيدة (طير):

هبة النهار طافت من طير لأخر ،
و طاف اليوم منتقلا من ناي الى أخر ،
مرّ متشحا الخضرة ،
في تحليقات فتحت ممرا،
و عبر الريح سيمر حيث مرت الطيور ،
و هناك سيحل الليل.

مع بابلو نيرودا في كتاب التساؤلات

طالب عبد العزيز

صدر عن دار ازمنة – عمان – ٢٠٠٦للمترجمة العراقية سحر احمد الترجمة الجديدة لـ (كتاب التساؤلات) للشاعر التشيلي الكبير الحائز على جائزة نوبل عام ١٩٧١ بابلو نيرودا، تقف المخيلة عاجزة عن تصور الحياة لدى نيرودا، هذه الحياة التي عاشها بكل ما في الكلمة من معنى فهو يقول في مستهل كتابه الاجمل (مذكرات نير ودا) اعترف باني عشت، وللمرء ان يسأل ترى كيف تسنى للشعر ان يتدفق بالعذوبة هذه، بالرقة هذه ؟ كيف امكن لشاعر اخذت السياسة من عالمه الكثير ان يمجده الشعر الى الحد هذا ؟

وتأتي ترجمة كتاب التساؤلات للمترجمة الرائعة سحر احمد لتسد فراغا كبيرا تعاني منه المكتبة العراقية على وجه التحديد، في ظل الازمات التي تعصف بالقارئ هنا و الذي بات يفتقد للكثير من التراجم الشعرية، ففي كتيب لا تتجاوز صفحاته الـ ٦٠ صفحة اخذتنا اسئلة الشاعر الكونية الى ما لم يعد الانسان يسال عنه في زحمة انشغاله الشخصي، اذ تجاوز الشاعر السؤال الضيق المحدود في كتبه الاولى (النشيد الشامل، اسبانيا في القلب، سيف اللهب، مائة قصيدة حب ...) وكتب المختارات التي وصلتنا عبر السنوات الطويلة لتعرفنا على الشاعر هنا وهناك ليأخذ بنا في طريق مغايرة تماما، ابعدتنا عن التفكير الشخصي تجاه الاسئلة الكلية، وبلغة تبدو الاجابة عنها ضربا من العمى فهو يقول مثلا :

من يصغي لندم السيارة الجانية ؟
او
هل من امر اشد من حزنا
من قطار يقف تحت المطر ؟
او
قل لي، الوردة عارية
ام هو فستانها الوحيد ؟
او
من اين للربيع في فرنسا
كل هذه الاوراق ؟
او
ماذا نسمي حزن الخروف الوحيد ؟

لم تعد مثل الاسئلة هذه موضوعا شخصيا رغم بساطة او سذاجة السؤال احيانا، لكننا امام محنة كبيرة، محنة صنعتها الحياة الجديدة، ترى كيف يستنطق الشاعر ندم السيارة الجانية ؟ ومن الجاني السيارة ام الانسان ؟ كيف يجعل الشعرُ الحديدَ الجامدَ نادما حزينا ؟

وعظمة شعر نير ودا تتأتى من الحياة العظيمة التي عاشها فهو يقول في كتاب مذكراته، انه مرة كان مع وفد ثقافي في زيارة لعمال المناجم في تشيلي، فخرج له احد العمال من بطن المنجم المظلم وصافحه بيدين معروقتين سخاميتين، وبعيون ضيقة لم تدركها الشمس من ايام صائحا به :اي نير ودا ايها الشاعر الكبير انا اعرفك فقد قرأت لك قصائد جميلة، وهنا يتحدث نير ودا عن سعادته بالقارئ هذا.

لقد احب حياة اولئك الذين كتب عنهم وعن حبيباتهم وعاش الجزء الاكبر من حياته معهم فقد كان عضوا في الحزب الشيوعي التشيلي حتى قبيل وفاته بايام .

وتترجم سحر احمد في صفحة الكتاب الاولى مقطعا من تجربته الشعرية حين تعرف على شاعر اميركا الكبير والت ويتمان فهو يقول عنه :تعلمت انا الشاعر الذي يكتب بالاسبانية من والت ويتمان اكثر مما تعلمته من سرفانتس ..

وتختار المترجمة سحر احمد لصفحة الغلاف الاخير مقطعا مما كتبه الارجنتيني الكبير خورخي لويس بورخيس الذي قال :التقينا قبل اربعين سنة، كنا نحن الاثنين، في ذلك الوقت،متاثرين بويتمان، وقلت نصف مازح (لا اعتقد ان هنالك ما يمكن صنعه باللغة الاسبانية ؟هل تعتقد بذلك انت ايضا ؟)وافقني يقول بورخيس لكنه قرر بانه فات الاوان ان نكتب نصوصا بالانكليزية، وانه علينا بذل الجهد لاخراج الافضل من ادب هو من الدرجة الثانية..)

ويقول رينيه دي كوستا : لم يكن الشعر بالنسبة لنير ودا مجرد تعبير عن العواطف والمسائل الشخصية، بل – كما عبر – هو نداء عميق يتعالى في الانسان، ومن هناك ينبعث الطقس الديني والترانيم وكذلك محتوى الديانات ...وبذلك يفتخر نير ودا بانه يعرف اكثر من ٣٠٠ نوع من الزهور في تشيلي كما جاء في كتابه المهم (حجارة السماء حجارة تشيلي) .

حين فرغ نيرودا من بناء بيته الدائم في ايسلا نيغرا واصل رحلاته الممتدة فقد زار كوبا عام ١٩٦٠والولايات المتحدة الامريكية ١٩٦٦ وعندما انتخب سلفا دور الليندي رئيسا لجمهورية تشيلي عين نيرودا سفيرا في فرنسا للاعوام ١٩٧٠– ١٩٧٢ واثناء الانقلاب الفاشي الذي جاء بالدكتاتور بينوشية واطاح بحكومة الليندي اشيع ان نيرودا قتل اثناء دخول العسكر قصر الحكومة، لكنه في الحقيقة مات في العاصمة سانتياغو بعد اصابته بسرطان الدم، لكن قصة موته ظلت مقترنة بمشهد الدم الذي خلفه الانقلابيون .

وتاتي ترجمة(كتاب التساؤلات) للمترجمة العراقية سحر احمد لتذكرنا بترجمة سابقة للكتاب كانت قد صدرت مع قصائد اضافية هي ٢٠٠٠والوردة المفصولة عن منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي في دمشق عام ١٩٧٨ بمقدمة مبتسرة جدا للمترجم رفعت عطفة.

لوركا: شعر نيرودا يرتفع بنغم لا مثيل له

ترجمة: هيفاء راضي البياتي

لابد من وقفة جليلة أمام الشاعر والانسان الذي عاش الحياة والكتابة معا على مستوى واحد دون ان يكون الانسان والكاتب شيئا مختلفا اخر ففي الايام القليلة الماضية مرت الذكرى الثالثة والعشرون على وفاة الشاعر التشيلي بابلو نيرودا.

وبلا شك فان مؤلفاته الشعرية احتلت شهرة واسعة وصارت الاكثر قراءة وتأثيرا في تاريخ الادب العالمي وحصرا في اسبانيا ومنها تلك التي كتبها في حقبة العشرينات من عمره وبكلمات دافئة (الحب عمره قصير بينما النسيان اطول بكثير) وبرغم مرور عشرين عاما على مجموعة بابلو الشعرية الرائعة والمعروفة بـ(عشرون قصيدة حب) والتي تغنت بلوعة الحب والم الفراق فأن الاقبال مازال كبيرا على شرائها مع ان مبيعاتها لم تتجاوز الـ ٥٠ الف نسخة في بداية نشرها الا انها سجلت مؤخرا زيادة هائلة في مبيعاتها وبمعدل ٢ الى ٣ ملايين نسخة.

واشار الشاعر التشيلي في قصائده الى مدي التضحية التي يبذلها العاشقون في تجاربهم العاطفية وخاصة في مرحلة الشباب التي تبلغ ذروتها والى مرحلة النسيان التي تاتي طوعا دون ارادة الحبيب واصفاً الحياة بان ليس لها طعم عندما ينتهي الحب.

وبابلو احب شيلي بشغف وفرح طفولي بريء كما احب قضايا شعبه حتى اللحظة الاخيرة حيث ظل واقفا صلبا في ساعات الانقلاب في ١٣ أيلول (سبتمبر) عام ١٩٧٠ وقتل اومات موتا غامضا في الانقلاب الفاشي المدعوم من المخابرات الامريكية.

واشترك في الحرب الاهلية الاسبانية ضد نظام فرانكو في منتصف الثلاثينات وتعرف على كبار كتاب العالم ومنهم الروائي الفرنسي اندريه مالرو والشاعر الاسباني لوركا الذي قال عن بابلو : (انه شاعر اقرب الى الموت من الفلسفة والى الالم منه الى الذكاء والى الدم منه الى البحر..

انه شاعر مليء بالاصوات الساحرة التي لا يستطيع هو نفسه لحسن الحظ ان يفسرها وهو رجل حق يعرف ان طائر السنونو اكثر بقاء من التمثال الصلب.

ان شعر نيرودا يرتفع بنغم لا مثيل له في امريكا مليء بالحب وكله عذوبة وصدق، ان نيرودا لا يعرف الحقد والسخرية وحين يريد ان يعاقب ويرفع السيف يجد نفسه أمام حمامة جريحة بين اصابعه).

وبابلو نيرودا اسمه الحقيقي هو (ريكاردو ونفتالي) واسم بابلو مستعار اطلق اعجاباً بالشاعر التشيكوسلوفاكي جان نيرودا وكتب كل قصائده بهذا الأسم المستعار ومنح جائزة نوبل به.

أما اشهر الابيات الشعرية التي قالها فجاءت في قصيدة (انا لا احبك)

انا لا أحبك فيما اذا كنت وردة لا ذعه أو جوهرة
او سهم القرنفلات التي تطلق النيران
انا أحبك كما تحب بعض الاشياء المظلمة
في السر بين الظل والروح
انا أحبك كالنبتة التي لا تزهر أبداً
ولكنها تحمل في ذاتها نور الازهار المخبوءة.

صورة نادرة لنيرودا مع لوركا

يحلو لكثير من المثقفين والأدباء وصف الشاعر التشيلي بابلو نيرودا بأنه «أشهر مهرب» في القرن العشرين، وذلك بعد قيامه بعملية تهريب فريدة من نوعها «قد لا تتكرر» عندما قام بإخراج الروائي الشهير غابريل غارسيا ماركيز من المكسيك، والقصة جرت عندما قام السفير التشيلي «ريكادرود نفتالي» في باريس والمعروف بنيرودا بمخاطرة جريئة بكل شيء وإعطائه جواز سفره لماركيز ليخرج من المكسيك أمام أعين الشرطة بكل حفاوة.
الشاعر التشيلي الشهير الذي حاز على جائزة نوبل عام ١٩٧١

بابلو نيرودا: أشهر «مهرّب» في التاريخ

ترجمة: إسماعيل خليل مجيد

اصدر نيرودا ديوانين في سن صغيرة نسبياً، ولكن في ديوانه الثالث (٢٠ قصيدة حب وأغنية يأس) وجد صعوبة كبيرة في نشره بسبب استخدامه كثيراً من الرموز الجنسية فيه، غير أنه سرعان ما اقتنع أحد الناشرين بأهمية نشر هذا الكتاب ما جعل بابلو مشهوراً وهو في العشرين من عمره، بعد ذلك ولج بابلو عالم الأدب في العاصمة «سانتياغو» وراح الناس يتعرفون عليه.

وعندما عين قنصلاً فخرياً في «رانغون» وجد نفسه غريباً ووحيداً، فكانت نقطة تحوله الشعرية، فنشر عام١٩٣٣ ديوان «الإقامة على هذا الكوكب»، وهي قصائد اتسمت بالاغتراب والبعد والتشاؤم والموت، وكان قد طغى على الشاعر حينها طابع الحوار الداخلي مع النفس، لا يخلو من بعض الفوضوية والعبثية، وهنا أصبح الجنس عنده تافها والطبيعة كتلة من الدمار، وغايات البشر تصيبه بالغثيان والإحباط.

انتقل بابلو ليعيش في اسبانيا وهنا خرج من عزلته وبدأ حكاية أخرى في حياته، فشاهد بداية الحرب على يد الجنرال فرانكو، وفقد صديقه الشاعر فيدريكو غارسيا لوركا، واتجه شعره بعدها نحو السياسة لخروجه من الهم الشخصي إلى عالم السياسة الصاخب، وكُتب عليه أن يغير نمط شعره ليبدأ مرحلة الكتابة إلى الجماهير في قصائد واضحة ومباشرة.

وفي عام ١٩٤٥ انتسب نيرودا الى الحزب الشيوعي وحين تم حظره في تشيلي عام ١٩٤٨، تحول نشاطه إلى السرية فاختفى بعيداً عن أنظار حكومة بلاده، وراح ينتقل من بيت إلى بيت، وفي النهاية غادر تشيلي إلى المنفى على ظهر حصان حتى وصل إلى الأرجنتين، ومنها الى دول أخرى في أمريكا اللاتينية وأوروبا وآسيا، قبل أن يعود إلى بلاده عام ١٩٥٣ بعد صدور العفو عنه.

ومع عودته تغير شعره من جديد، وتحولت الكلمات القوية التي تصور المنفى إلى كلمات تعبر عن الحياة اليومية من غرفة النوم حتى حانوت بائع التفاح.

لقد كان الشاعر روبرت فروستRobert Frost يعبر عن التفكير العميق بكلمات بسيطة، وهذا لم يحدث مع نيرودا الذي ربط أفكاره البسيطة بعبارات بسيطة.

وفي الخمسينيات من القرن الماضي نشر نيرودا أربعة مجلدات من هذه القصائد الغنائية، وكان متزوجاً من زوجته الثانية الرسامة الأرجنتينية ديليا ديل كاريل حين تعرف في المنفى إلى ماتيلدا أوروتيا فأقام معها علاقة سرية قبل أن تصبح زوجته الثالثة.

وفي آخر عشرين سنة من حياته ركز نيرودا على قصائد وجدانية عاطفية وخاصة لزوجته ماتيلدا، وطور في هذه القصائد التعبير الرومانسي الذي كتبه في بداياته الشعرية، بينما وُصف في البداية بالشاعر المراهق، ومع كبر سنه راح يكتب قصائد حب ولكنها ناضجة.

بعد فوزه بجائزة نوبل فرض (نيرودا) نفسه واحداً من كبار الأدباء لدى دار غاليمار، وقد انتقل للإقامة في باريس التي عينه صديقه الرئيس (سلفادور اللندي) سفيراً فيها، وقد أحدث (نيرودا) تغييراً ثورياً في الديكورات الداخلية لمبنى السفارة.

وفي تشرين الثاني من عام ١٩٧٢ استقال (نيرودا) من منصب السفير وعاد الى بلده تشيلي، وفي الحادي عشر من أيلول ١٩٧٣ قام الدكتاتور (بينوشيه) بانقلابه العسكري حيث أعدم الرئيس (سلفادور اللينيدي) وأدخل البلاد في بحر من الدماء.

وقد أثرت تلك الأحداث على صحة نيرودا فأقعدته فريسة للمرض، ولفظ أنفاسه الأخيرة في عاصمته سنتياغو، في الثالث والعشرين من سبتمبر ١٩٧٣، أي بعد ١٢ يوماً فقط من انقلاب (بينوشيه).

استطاع بابلو نيرودا بمكانته الشعرية وصفاته الإنسانية أن يترك الكثير من الانطباعات لدى محبيه وخاصة من تعرفوا إليه عن قرب وعاشروه لفترات من الزمن خلال تنقلاته في عدة بلدان، فعندما ترجم ديوان «إسبانيا في القلب» الى الفرنسية، كتب مقدمة الترجمة الشاعر الفرنسي الكبير لويس أراغون «اخترنا هذا الديوان، ذا الصفحات القليلة كمقدمة عملاقة لأدب العالم كله، ولست أشك في أن الشبان الذين سيقرؤون ترجمته الفرنسية سيحسون بالرعشة التي أحس بها جيلي وهو يقرأ الشاعر أبوللينير (١٨٨٠ - ١٩١٨)، وكم أتمنى أن تبلغ هذه الترجمة قلوب الذين قدّوا من صخر.. أن فيه قوة تسقط الأسوار بالغناء».

وتقول عنه المفكرة الكولومبية انجريد بيتانكور «هناك القليل من البالغين يعرفون كيف يجدون الكلمات الصحيحة كي يشاركوا الأطفال في انفعالاتهم، وكان بابلو نيرودا يعرف ذلك»، أما الشاعر المصري أحمد فؤاد نجم فيرى أن نيرودا «أعظم شاعر أنجبته تشيلي على الإطلاق.. كل جريمته أنه سخر عبقريته لخدمة الناس البسطاء».

أما الشاعر الإسباني غارسيا لوركا، فقد وصفه بقوله «له وجه مدهش كغجري مصقول ومن يدري لعله ابن أميرة أراوكانيّة، ومصارع ثيران من رندة»، وفي إشارة إلى خلود الشعر الذي يعبر عن وجدان الإنسان وهمومه قال لوركا عن بابلو» يعرف أن طائر السنونو أكثر بقاء من التمثال الصلب».

(من مجلة أمانثير الاسبانية)

نيرودا وزوجته

قال نيرودا: سأذهب وأجلس الى طاولة أخرى

لطفية الدليمي

سألت ريتا جيبرت الشاعر بابلو نيرودا في حوار نشر على صفحات (ذي باريس ريفيو) في السبعينيات:
– إذا كان عليك الاختيار بين رئاسة تشيلي وجائزة نوبل التي رشحت لها مرارا، فأيهما تختار؟
قال نيرودا: لن يكون القرار موضع تساؤل بين مثل هذه الأمور الخادعة، وتعيد عليه ريتا السؤال بصيغة أخرى: ولكن إن وضعوا الرئاسة والجائزة هنا أمامك على الطاولة؟ يرد نيرودا بحزم: إذا وضعتا هنا أمامي على الطاولة سأذهب وأجلس إلى طاولة أخرى..
يحدث أن في ثقافتنا العربية المأزومة فخاخ ذوات أنياب فولاذية– تطبق على أخيلة الكتاب– أسمها الجوائز، ويحدث أيضا أن فخاخ الجوائز تستدرج الكبار والصغار الى مكيدتها الشهية،
وتسحب المكيدة وراءها صفوفا من الطامعين والنمامين والغاضبين ممن لا يروق لهم فوز الآخرين، يحدث أيضا أن يتقاذف المتنافسون كرات النار فيحرقوا سفن اللياقة وتنحدر بهم المواقف الطفولية إلى مزالق أبعد ما تكون عن أخلاقيات المثقف وأقرب ما تكون إلى سلوكيات الحروب اليائسة، فيشهرون الأنياب والمخالب ويكشفون بدافع من المطامع– عن الجانب الوحشي من النفس البشرية، ذلك الذي لم تهذبه التجربة الإبداعية ولا صقلته الحياة المدنية والإدعاءات الفكرية، فتكشف الجائزة عن حقيقة هذا الجانب وتعيد صاحبه إلى حومة الغاب وسلوكيات القنص والقتل..
يحدث كل عام ان تستفز الجوائب الشرسة في نفوس بعض الأدباء وهم إزاء تشهي الفوز و الظمأ البدائي للشهرة، وتحاط عملية التشهي الفادحة بأجواء من النميمة والشتيمة وتسقيط كل آخر، ويتم تبادل التصريحات بين الطامعين و المبعدين عن الترشيحات التي لا تقوم على أساس محددة او واضحة غالبا، فيكتب فلان عن أحقية فلان الفلاني بالترشيح بدلا من فلانة وفلان، وتنهال مقالات النميمة والتعليقات الجارحة وتشتعل

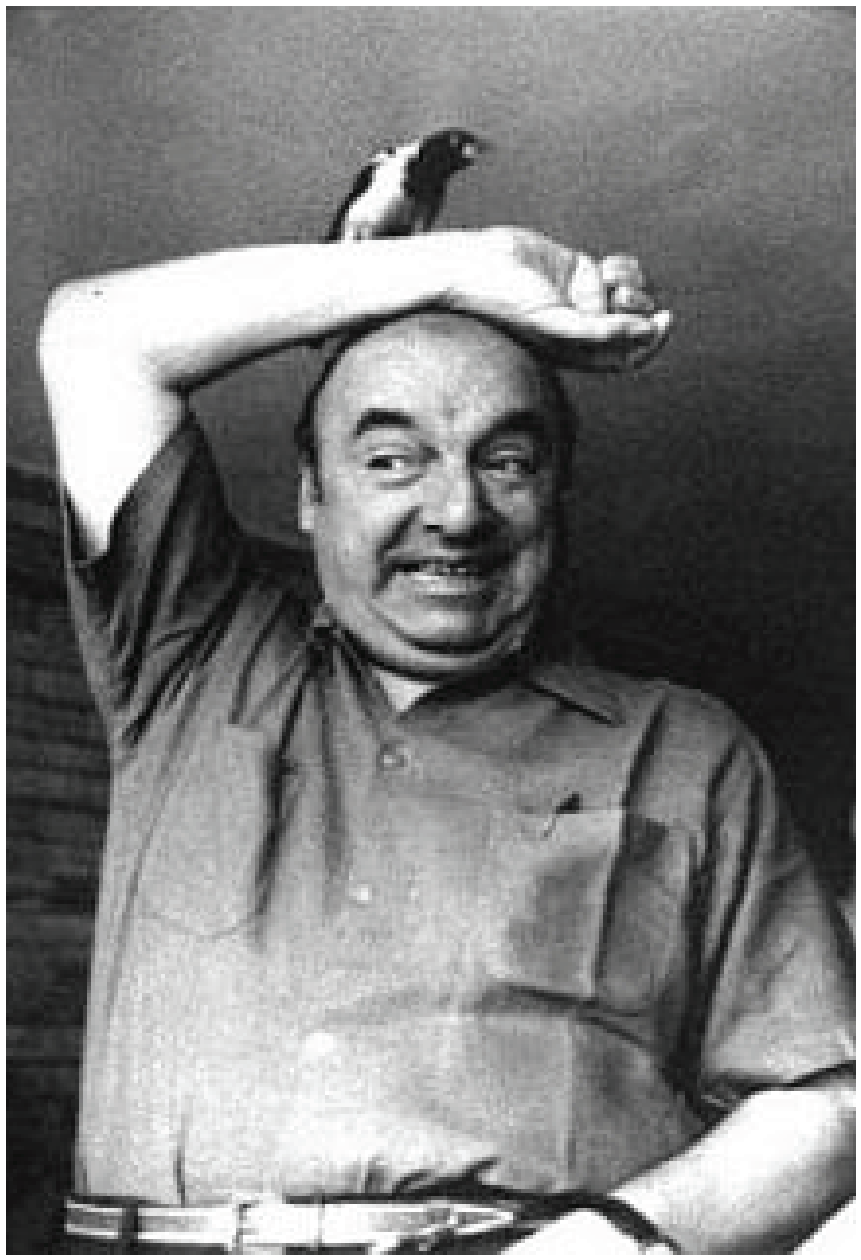

حروب داحس والغبراء و تسقط معظم المجلات والصفحات الثقافية العربية في الفخ وتلعب على ثيمة الجائزة، فنحن شعوب لا نملك انشغالات ثقافية أو معرفية حقة ونبدو كأن جميع أزماتنا انتهت وما عاد لدينا ما ننشغل به إلا جائزة الرواية، الجائزة التي تشبه فتيل حرب ألقى به من وراء السور فأشعل بين المتنازعين صراعا ت تدوم إلى ما بعد إعلان النتائج – وكل نتيجة ستكون موضع تشكيك ونميمة هي الأخرى، ليس من أجل التقييم العادل أو أحقية الفوز، بل لتوجيه النقد الملغوم للفائز و لجان التحكيم المتورطة في القضية، وكأن هذه الجائزة أهم من معضلات الوجود أو أزمات المعرفة أوتردي الواقع المعيشي ومشكلات النشر وحقوق المؤلفين إزاء استبداد الناشرين، أما كان الأجدر بالأدباء أن يعيدوا النظر في ثقافة النميمة التي صارت بديلا عن ثقافة الحوار المفتوح وتبادل الخبرات؟ أما آن للمثقفين أن يترفعوا عن سجالات الدس الذاهبة إلى تسقيط كل آخر وتسفيهه؟
ألا تشير هذه الجائحة التي أسقطت الكتّاب في سوء مواقفهم– إلى وجود أزمة ثقافية وأخلاقية مستحكمة؟ ألا يفصح هذا الكم الهائل من التعليقات السمجة والجارحة حول الجائزة– عن هشاشة الأدباء والتردي الروحي والخلل الفكري والسفه؟
إن أزمة الأدباء المهمومين بالفوز هي نتاج أزمات مزمنة في مجتمعاتنا، فقد تحول الفعل الإبداعي لدى بعضهم الى نوع من الصفقة،وانجرف عدد كبير منهم في طوفان المزايدات والتصفيات الثأرية الخارجة عن السياقات الأخلاقية،فأربكوا بذلك على قرائهم ومتابعيهم الذين كانوا يعدونهم قادة الفكر ومنتجي الثقافة ورواد الإبداع وحماة القيم، فإذا بهم يروجون بأفعالهم لأخلاقيات النميمة التي تنتشر كالشرر في الهشيم، ليعمد بعض القراء ومن لا علاقة لهم بالثقافة– إلى الإدلاء بآراء وتعليقات مشينة حول الجوائز والأدباء والمحكمين الذين وضعوا أنفسهم في مرمى النيران بتصريحاتهم الانفعالية.
وتعبر كاتبة– استبعد اسمها من القائمة الصغيرة– عن غضبها بالشتيمة!!ويعلن كاتب مشارك عن احتقاره للجائزة بكلام يكشف عن هشاشة روحية وخواء فكري..
ألم يكن نيرودا محقا في ترفعه على الجائزة وهو يجيب ريتا جيبرت: إن وضعوا الجائزة والرئاسة على الطاولة أمامي، سأذهب وأجلس إلى طاولة أخرى.

بابلو نيرودا

أحمد فؤاد نجم

شيلي البارود
حطي الوعود
والتعليلات
في المهملات
سفحوا الورود
من ع الخدود
والخضره
من قلب البنات
فين الأمان
جنب الفيلان
يا ملفقين
عصر التبات ؟
لا الجرح بات
ولا إتنسي
ولا التاريخ
والذكريات
سيدنا الحسين
اسبارتاكوس
الليندي
لوركا
عب رحيم

فلاح بلدنا اللي انشوى
قبل القيامه
في جحيم
سينا الطعينة المزمنة
ارنستو
جيفارا العظيم
خميس وبقري
والشفيع
أدهم
وموالة القديم
قطب الرجال اللي ابتلي
لما تلا الذكر الحكيم
عقد العقيق اللي اتبدر
من عهد سقراط الحكيم
زاد النهارده
وانتظم
بالدره والفص اليتيم
نيرودا
زمار الصباح
نيرودا
مزمار النسيم
صابحة الصبية
" سانتياجو "
تشرب لبنها من غناك
اتروعوا العصافير

وهاجوا
لما نعيت البوم
نعاك
وانت الشهيد
ملو البراح
جراح تعود المجروحين
ساعتين تشاور
ع الجراح
ينشد ظهر المطعونين
تتمدد إيدهم ع السلاح
وبعزم ما في الموجوعين
تطعن في شريان الطاعون
تجهز
على الداء الدفين
الشمس تطلع بالصباح
ترمي الصباح
على كل الابد
حاضنة البنادق والجراح
بإيد وعافقة الناي
بإيد
والشمس تطلع في النهار
فوق كل قصر
وكل بيد
والشمس تسقط
في الغروب

عن بابلوا
.. الشهيد
دواره بتعدي السنين
يا أرضنا
يا ام البنين
دواره بتعدي اللي فات
يا أرضنا يا ام البنات
كروب
حروب
محن شعوب
كلاب
نيرودا

عذاب
ضباب
غروب
بروق
رعود
شروق
صعود
نضال
سجال حرام
حلال
والعدل .. كان
في كل آن
هو القضية
والرهان
والارض عاشت من زمان مسرح
لفرسان الميدان
سيدنا الحسين
اسبارتاكوس
جيفارا
لوركا
عب رحيم
نيرودا زمار الصباح
نيرودا
مزمار النسيم.

عن ديوان بيان مهم

الشاعر الذي غاب منذ مايقارب اربعة عقود ، يظل حاضرا في تغريبته عن الحب الضائع وبحثه عن الحقيقة الشعرية الحب قصير ، النسيان اطول . والحكومة التشيلية تريد اليوم ان تعيد بعضا من ذكريات الشاعر، وتجاوز بعض الجراح، خاصة الاعتقاد الشائع، بان وفاة الشاعر الذي كان يعاني من المرض، جاءت بسبب الانقلاب الدموي الذي قام به الجيش المدعوم من المخابرات الامريكية ضد حكومة سلفادور الليندي، اليسارية والرئيس المنتخب ديمقراطيا. وقبل ايام من وفاته، جاء حرس الليل والشرطة السرية للبحث عنه حيث واجههم بعبارته الشهيرة لا شيء هنا سوي الشعر او الكلمات. وجاءت حكومة بينوشيه الانقلابية للاسراع في دفنه، في المقبرة العامة، بدلا من دفنه في بلدة ايسلا نيغارا . وتم تصحيح الخطأ بعد عشرين عاما، وخروج بينوشيه من الحكم، وظهور فلم درامي اخذ من حياة الشاعر واشعاره الكثير إل بوستينو ، حيث صور الشاعر كقلب كيوبيد الهة العشق يعيش في منفاه في جزيرة.

نيرودا ايقونة القرن العشرين

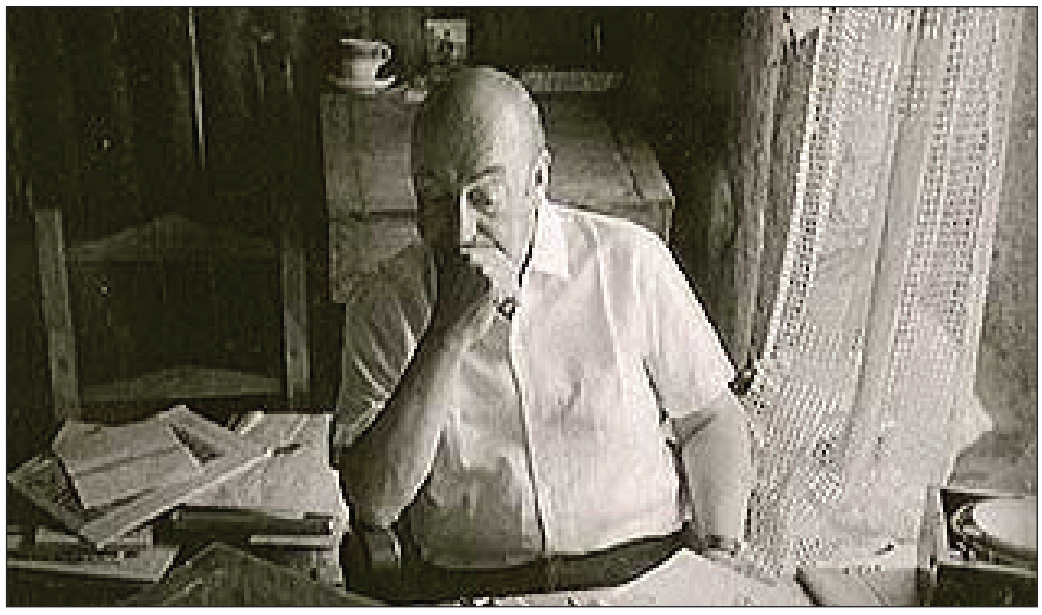

ولد نيرودا واسمه ريكاردوا اليسير نيفتالي ريس باسوالتو في ١٢ تموز (يوليو) ١٩٠٤، وغير اسمه في عمر السادسة عشرة الى بابلو نيرودا، ربما اعجابا بالكاتب التشيكي يان نيرودا، وكان في العشرين من عمره عندما نشر اولى قصائده الشعرية عشرون قصيدة حب وقصيدة يأس ، وظل يكتب الشعر حتي عندما كان يعمل في السلك الدبلوماسي.

مع لوركا ضد فرانكو

وعمل في بداية حياته دبلوماسيا صغيرا في الشرق الاقصى، وبعدها نقل الى الارجنتين حيث اتصل بغارسيا لوركا، نقل بعدها الى اسبانيا. وكان اغتيال الشاعر الاسباني المعروف عام ١٩٣٦ هو ما دفع نيرودا لتجاهل وضعه كدبلوماسي ويدعم الجمهوريين، وفي هذه الفترة بدأ يكتب مرثيته العظيمة لضحايا الحرب الاسبانية، اسبانيا في قلبي وفي هذه المرثية قدم الشاعر ملامح من الالتزام الاجتماعي والدفاع عن قضايا العدل والحرية. وفي عام ١٩٣٧ عاد الى تشيلي، حيث كان هناك قلق كبير لاوضاع الالاف اللاجئين الاسبان الذين فروا امام تقدم قوات فرانكو، ولهذا قام بالسفر الى فرنسا لكي يقوم بتنسيق جهود نقل الفين منهم على متن قارب استأجره لتشيلي، وفي الوقت الذي كان ينسق فيه جهود نقل اللاجئين اندلعت معركة برلمانية حامية بشأن نقلهم، حيث قال نواب ان البلاد لا تحتمل هذا العدد من المهاجرين، فيما ناقش اخرون ان البلاد بحاجة الى قوة عمل، وكان نيرودا البعيد الاف الاميال عن وطنه واعيا للظرف ولهذا كانت الايام التي سبقت رحيل القارب وينبيغ حافلة بالمفاجأت ، وعند مغادرة القارب ميناء بوردو وقف نيرودا الى جانب المرأة التي ستصبح زوجته الثانية ديليا ديل كاريل لكي يلوح للقارب الذي غادر الميناء في الرابع من اب (اغسطس) ١٩٣٨، وفي قصيدته التي كتبها بهذه المناسبة اعلن نيرودا عن تخليه عن العاطفية والشعرية الرومانسية لكي يكرس نفسه، كشاعر طبعا لقول الحقيقة وللكشف عن المظالم التي تواجه الانسانية ستسأل ..اين اذا الليليك.. والوجود البعيد متوج بالخشخاش.. والمطر يرش كلماته.... يملأها بالثقوب والطيور؟ قد تسأل.. لماذا لا يتحدث الشعر عن الاحلام واوراق الشجر..عن البراكين العظيمة في موطنه.. تعال وعاين الدماء في الشوارع.. تعال وعاين الدم في الشوارع.. تعال وعاين الدم في الشوارع .

مع الفقراء في تشيلي

قبل انضمام نيرودا للحزب الشيوعي عرض عليه عام ١٩٤٤ لكي يرشح عن المنطقة الفقيرة في تراباتشا وانتوفاغاستا في صحراء اتشاما، وفي هذه المنطقة شاهد لاول مرة الفقر المدقع والبيوت التي بنيت على المزابل، وشاهد لاول مرة الناس الفقراء او افقر الناس في تشيلي مازال قلبي يرتعد من مشاهد الفقر في هذه المخيمات.. هنا مخيم بان دي ازوكار الذي بني على قمة جبل من القمامة، وعندما دخلت احد البيوت، امرأة (من منطقة السهول المعشوشبة) تقول لي كيف انها وجدت فجأة، من تحت ارضية الغرفة، فئرانا ميتة، واحذية قديمة.. مركزا للقمامة يسبح حتى سطح ارضية البيت، وعندما دخلت بيتها ارتني الاسرة الحديدية المتداعية، طاولة معمولة من رفوف، كرسي وحيد لكل البيت، لا مطبخ، في الغرفة السفلية، مدفأة من الصفيح وقطع الحديد تستخدم كفرن.. الطعام يخرج اسود، قالت لي . في عام ١٩٤٥ انتخب نيرودا نائبا ممثلا للحزب الشيوعي عن انتوفاغستا وتاراباتشا، وبعد اربعة اشهر انضم للحزب الشيوعي التشيلي، في احتفال عقد في العاصمة سانتياغو، اهمية الانضمام للحزب، على الصعيد الشخصي يمكن تحديدها من خلال القصيدة التي كتبها اي مي بارتيدو حزبي منحتني الاخوة لرجل لا اعرفه.. منحتني القوة الجديدة من بين كل الاحياء.. اعدت الى بلادي... وكأنه ميلاد جديد.. اعطيتني الحرية التي يفتقدها الانسان .. علمتني اللطف الجميل مثل النار.. ومنحتني القامة التي تحتاج اليها الشجرة.. وعلمتني ان ابحث عن الوحدة.. والتنوع في الانسان.. وعلمتني كيف يموت الم انسان لانتصار الجميع.. جعلتني قادرا على رؤية وضوح العالم وامكانية الفرح.. جعلتني عصيا على الدمار.. فلم اعد انتهي في نفسي .

في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٤٧ ادت اضرابات عمال المناجم في لوتا الى احداث شغب واضطرابات حيث قام فيديلا بارسال قواته واعتقال المشاركين وارسالهم الى سجن حربي في جزائر سانتا ماريا وكويريكينا، وكان من بين المسؤولين شاب في الثلاثين من عمره سيصبح عنوانا هاما في تاريخ الاضطهاد في بلاده اوغستو بينوشيه. ولم يكن نيرودا قادرا على الوقوف صامتا، ونظرا للرقابة علي النشر، فقد بحث عن اعلام في الخارج، وقام بنشر مقال في جريدة فنزويلية الناسيونال تحدث فيه عن وضع الديمقراطية في تشيلي وجاء فيه ان ازمة الديمقراطية في بلادنا هي ازمة لكل القارة اللاتينية. واتهم الرئيس التشيلي باستخدام اضراب عمال لوتا من كخيانة للشعب وقام باعمال لم تشهدها البلاد من قبل، وكتب قائلا لقد قاموا بتصويب المسدسات على صدور الاطفال لكي يدلوا الجنود عن مكان اختباء ابائهم، ملأوا القطار وراء القطار، مثل قطارات النازية المشؤومة، بالعائلات والعمال الذين عاشوا في هذه المنطقة لاكثر من اربعين عاما، وفي غالب الاحيان تحولت القطارات لسجون ولم يسمح لاحد بمساعدة الضحايا، ومات الاطفال والنساء نتيجة هذه المعاملة، جثث عمال المناجم شوهدت في التلال ولم يسمح لاحد بالاقتراب منها . في السادس من كانون الثاني (يناير) ١٩٤٩ وقف نيرودا امام البرلمان والقى خطابه المعروف يو اكوزو انا اتهم، مستخدما عبارة اميل زولا المعروفة عندما اتهم الحكومة الفرنسية باساءة معاملة الضابط اليهودي، دريفوس، وقرأ نيرودا اسماء ٦٥٠ من الرجال والنساء المعتقلين الذين اعتقلوا في معسكرات الاعتقال في بيساغوا، بدون تحقيق او اي معرفة بطبيعة الاتهامات الموجهة اليهم. واصبح نيرودا مطاردا، بل قامت صحيفة حكومية برصد جائزة لاي عنصر من عناصر الشرطة السرية (٣٠٠) الذين كانوا يلاحقونه. ويقول نيرودا في مذكراته عن تلك الازمة ان الخيار الوحيد الذي بقي هو اللعب بالوقت والاختفاء وتبني العمل السري للكفاح من اجل عودة الديمقراطية في البلاد .

عاش نيرودا لعام مختفيا في بيوت الاصدقاء، حتى اصبح الوضع خطيرا ومن هنا، قرر اصدقاؤه تهريبه عبر الحدود للارجنتين، بجواز سفر مزيف، وهوية جديدة كعالم في الطيور، وقد اعجب هذا الدور نيرودا الذي احب هذه المغامرة وكتب عنها لاحقا كتابه ارتي دي باراجوس فن الطيور عام ١٩٦٦. وقاده في المغامرة لجنوب البلاد، سائق يدعي جورجي بيليت، الذي تذكر لاحقا ان تعليقات نيرودا عن الطيور والحشرات جعلته يتغلب على النوم. وفي المرحلة الاولي من الرحلة، اوقف شرطي السيارة وطلب من السائق ان يأخذه معه في الطريق، مما اثار مخاوف وقلق السائق، ولكن الشرطي ركب في المقعد الامامي، ولم يلاحظ نيرودا... بعد ذلك وصلوا الى مخزن للخشب قرب بحيرة مياهو، وفيها بدأ نيرودا يحضر للرحلة الشاقة عبر الانديز، ممتطيا صهوة الجواد، وكان قد نسي ركوب الخيل منذ طفولته.

مغامرة عبر الانديز

في ٨ اذار (مارس)، بدأ نيرودا مع مجموعة من المرشدين والادلاء رحلتهم الشاقة غرب البحيرة، وهناك وجد ثلاثة من رعاة البقر ذكرهم نيرودا بالثلاثي جانوس ، كانت المرحلة الاولى تقتضي اجتياز نهر كارينكو ، وكان حصان نيرودا يحمل على ظهره رتلا من الاشياء الثقيلة: اشهر شاعر في امريكا اللاتينية، زجاجة ويسكي وآلة طباعة كان يكتب عليها اغاني الكابتن/ الجنرال ، التي كانت سيمفونية حب وعشق، عن الحياة والطبيعة في جنوب امريكا، وعانى نيرودا في رحلته من المتاعب الكثيرة حتى قارب علي الموت، وكتب في عام ١٩٧١ كان علينا عبور النهر، هذه الامواج الصغيرة التي ولدت من قمم الانديز منحدرة منه، مشحونة بترنحها.. وجدنا حوضا.. مرآة عظيمة من المياه المتدفقة .. واخذت الخيول بخوض غمار الماء، وحصاني غمر بالماء حيث اخذت اتهادي.. ، حتى عبور النهر، وبعد اجتياز هذه المرحلة الصعبة سأله المرافقون ان كان خائفا من الموت، فاجاب نعم. فقالوا كنا وراءك بالحبال جاهزين.

اليوم الثاني للرحلة كان الاصعب، حيث كان عليهم اجتياز ما يعرف بطريق المهربين عبر الجبال. وبعد ان قطعوا المرحلة ووصلوا جبال الانديز، التفت نيرودا وسأل بيليت قائلا ماذا تسمون هذا الممر فاجابوا ممر ليلبيلا ، وعندها طلب من بيليت، حفر ابيات بالسكين على قاعدة شجرة ضخمة انشدها نيرودا من خلال النموذج الشعري المعروف بالرباعي كوارتيتا ما اجمل رائحة الهواء.. في ممر ليلبيلا.. القاذورات لم تصل بعد .. من مؤخرة الخائن غونزاليس فيديلا . بعد الركوب الشاق عبر الجبال وصلوا الى الجانب الاخر من الحدود مع الارجنتين. بعدها سمع العالم نيرودا عندما خاطب مؤتمرا لمجلس السلام العالمي، قدمه اليه بابلو بيكاسو في باريس.

عاش نيرودا في المنفى الاوروبي حتي عام ١٩٥٢، يقضي اوقاته بين زوجته الثانية ومحظيته الجديدة ماتليد اورتوتيا، وفي عام ١٩٥٥ بدأ حياة مستقرة مع ماتليد في تشيلي.

الليندي يفوز

بعد عدة محاولات فاز الليندي بالرئاسة التشيلية، وانتخب كأول ماركسي في انتخابات ديمقراطية عام ١٩٧٠. عين بعدها نيرودا، سفيرا لتشيلي في باريس. في عام ١٩٧١، وكان مصابا بمرض سرطان البروستات، سافر الى استوكهولم لاستلام جائزة الاكاديمية السويدية، نوبل للاداب. عاد لتشيلي في ايلول (سبتمبر) ١٩٧٣. في ٢٩ حزيران (يونيو) بدأ ما صار يعرف بـ تاكوينتازو ، حيث قامت مجموعة بقيادة الكولونيل روبرتو سوبير باحتلال وسط العاصمة وقصف وزارة الدفاع، ومع ان قوات الجمهورية قامت بالسيطرة على الوضع الا ان البلاد كانت تنهار.

في هذه الاثناء احتفل نيرودا بعيد ميلاده التاسع والستين، ولم يكن الجو احتفاليا، حيث كان نيرودا قعيد الفراش وكان يتابع اخبار انهيار الاوضاع، وكان يقضي نيرودا وقته بين الاستماع

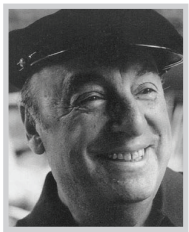

بعد عدة محاولات فاز الليندي بالرئاسة التشيلية، وانتخب كأول ماركسي في انتخابات ديمقراطية عام ١٩٧٠. عين بعدها نيرودا، سفيرا لتشيلي في باريس. في عام ١٩٧١، وكان مصابا بمرض سرطان البروستات، سافر الي استوكهولم لاستلام جائزة الاكاديمية السويدية، نوبل للاداب. عاد لتشيلي في ايلول (سبتمبر) ١٩٧٣. في ٢٩ حزيران (يونيو) بدأ ما صار يعرف بـ تاكوينتازو

مقدمة مذكرات نيرودا اشهد انني قد عشت

بابلو نيرودا

قلما يوشوش عالم النبات إلا قليلاً إلى أن تهب زوبعة فتجعل موسيقى الدنيا كلها تتجاوب. من لا يعرف الغابة التشيلية، فهو لم يطأ هذا الكوكب الأرضي. من تلك الأراضي، من ذاك الطين، من ذاك السكون، خرجت أنا لأسير، لأغني عبر الكون. سوف أشرع بالكلام عن أيام طفولتي وأعوامها قائلاً؛ غن المطر كان لي الشخصية الوحيدة التي لا أنساها. مطر القطب الجنوبي الغزير الذي يهطل مثل شلال من قطب "بولو" ينحدر من سماء "كابودي هورنوس" حتى سماء الثغر. في هذا الثغر، أو "فاريديست" بالنسبة لوطني، ولدت الحياة، للأرض، للشعر والمطر. مع أنني قد تجولت كثيراً فإنه يبدو لي أنه قد ضاع من الأمطار هذا الذي كان يمارس وكأنه موهبة متسلطة هائلة بارعة، في أراضي، أرض "أوروكانيا". كانت السماء تمطر خلال شهور بكاملها، أعوام بأسرها، كان المطر يتدلى خيطاناً كأنها إبر طويلة من البلور يتكسر على أسطحة المنازل، أو أنه يستحيل أمواجاً شفافة تلطم النوافذ، وكانت كل دار كأنها سفينة لا تبلغ الميناء إلا بشق الأنفس والجهد الجهيد في ذلك المحيط الشتائي... تجاه داري، الشارع أمسى بحراً هائلاً من الوحول، أرى عبر النافذة من خلال المطر عربة قد أوحلت في وسط الشارع، وهناك فلاح ملتف بعباءة سوداء يسوّط الثيران التي لم تعد تقوى على المضي بين المطر والوحل. لقد كنا نتوجه إلى المدرسة عبر الدروب، ننقل الخطى من حجر إلى حجر، متعرضين للبرد والمطر... والداي هما من بلدة "بارّال" حيث ولدت أنا هناك في وسط تشيلي، تنمو الكرمة ويكثر النبيذ، من غير أن أذكر، دون أن أعرف إن كنت نظرت إليها مرة بعينيّ، ماتت أمي السيدة "روسا باسوالتو" أنا ولدت في الثاني عشر من شهر تموز (يوليو) من عام ١٩٠٤، بعد شهر، في آب/أغسطس، هلكت أمي بمرض السل، لم تعد توجد... لست أرى جيداً في هذه المذكرات تتابع الزمن وتسلسل الحوادث بدقة ونظام... تتشابك في مخيلتي وتتراكم أحداث كثيرة كانت ذات أهمية بالنسبة لي، ويبدو لي أن هذه الحادثة الممتزجة بشكل غريب بالتاريخ الطبيعي هي أولى مغامراتي الهزلية، ربما كان الحب والطبيعة منذ مطلع حياتي هما فلزات شعري". تلك لمحة عن ذكريات الشاعر بابلو نيرودا التي ساقها في هذه المذكرات "أعترف بأنني قد عشت". إن مذكرات كاتب المذكرات ليست هي لشاعر، ذاك ربما عاش أقل من الشاعر، لكنه التقط صوراً أكثر منه فهو لذلك يمتعنا بالجزئيات المتقنة المهذبة، بينما الشاعر يمنحنا معرضاً من الأشباح المهتزة المتراوحة بين النار والظل كانعكاس لعصر الشاعر. فهو يقول: "ربما أني لم أعش في ذاتي، ربما عشت حيوات الآخرين. بقدر ما استودعت هذه الصفحات من كتابة ستجدد دائماً، كما في غيل الخريف وكما في موسم الكرمة، الأوراق الصفراء التي تروح تموت والأعناب التي ستنبعث في النبيذ المقدسي. حياتي هي حياة صيغت من كل الحيوات: حيوات الشاعر. "إن هذه المذكرات أو الذكريات متقطعة تتناول على فترات كثيرة السهو والنسيان لأنه هكذا سنة الحياة. أن تعاقب الحلم يجعلنا نقوى على تحمل مشتقات العمل. حين أستحضر الذكريات أجد أن كثيراً منها قد امّحى وعفا وغدا عباراً ليس يهدأ كمثل زجاج جريح ليس يبرأ". إن مذكرات كاتب المذكرات ليست مذكرات الشاعر، ذاك ربما عاش أقل من الشاعر، لكنه التقط صوراً أكثر منه فهو لذلك يمتعنا بالجزئيات المتقنة المهذبة، بينما الشاعر يمنحنا معرضاً من الأشباح المهتزة المتراوحة بين النار والظل كانعكاس لعصر الشاعر.

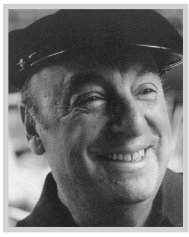

قام الجيش بتفتيش بيته، وتتذكر ماتيلد حضور الجنود المدججين بالسلاح، وكان نيرودا يراقب الجنود بخوذاتهم يفتشون الاشجار والازهار في الحديقة، من خلال ثقوب ستارة غرفته.. وعندما سأل قائد الوحدة عن نيرودا.. اشاروا الي مكانه، فقام بالصعود وبخطوات حذرة الي الغرفة... في يده سلاحه.. عندها قال نيرودا له انظر حولك... هناك شيء واحد خطر عليك.. الشعر .. وانسحب الجنود، ولكنهم قاموا بالعبث وتدمير منزل اخر له. في ١٨ ايلول (سبتمبر) في عيد الاستقلال تداعت صحة نيرودا، وقررت ماتيلد نقله الي العيادة،

للمغني التشيلي المعروف فيكتور جارا.. كان واحدا من الذين قطعوا اشلاء.. يا الهي، كأنك تقتل عندليبا.. قيل انه ظل يغني وغناؤه جعلهم كالمجانين .. في ليلة ٢٢ ايلول (سبتمبر) ترك نيرودا وحيدا، حيث كان لطيفا مع ماتليد التي طلبت منه الراحة، لم ينم الا ساعات قليلة، ليصحو بعدها، وهو يهلوس، ويقول انهم يطلقون الرصاص.. وبعدها ذهب في غيبوبة.
مات نيرودا في ليلة ٢٣ ايلول (سبتمبر) ١٩٧٣ وكانت اخر كلماته هي انا ذاهب/ مي فوي . قررت ماتليد، نقل جثة زوجها الشاعر الى بيته في لاكاسوكونا الذي عبث به الحرس السري، وكان القرار في نظر الكثيرين جنونيا، الا انها ارادت من ذلك لفت انظار العالم لفظائع الانقلابيين، فقد حدست ان الحدث سيحضره صحافيون ومحبون للشاعر.
ويتذكر صديق الشاعر، هيرنان ليولا، الذي اصبح فيما بعد احد الباحثين المهمين في حياة واشعار نيرودا انه سأل ماتليد عن السبب، واجابت الا تعتقد انه كلما كان البيت في حالة سيئة، كان الامر جيدا لنيرودا . بعد يوم في البيت، نقل نيرودا الى المقبرة، حيث اجتمع امام البيت، عدد من العمال والطلاب، وتجمع الناس ليشاهدوا الجثمان في طريقه، سمعت اول صرخة، الرفيق بابلو، واجاب المشاركون حاضر ، ومع وصول الجثمان للمقبرة اصبحت الجنازة مظاهرة احتجاج كبيرة، كما يقول ليولا حيث ارتفعت الايادي والاصوات الرفيق نيرودا وردت الجموع في تحد صارم للجنود المدججين بالسلاح حتى الاسنان ، وتذكر الحضور قتلي الانقلابيين، المغني فيكتور جارا، واللينيدي.
في صباح اليوم الذي مات فيه نيرودا يتذكر صديقه فرانشيسكو فلاسكو انه ذهب الي بيته، وشاهد جموعا كبيرة امام البيت تشير الى مخلوق غريب في داخله، وعندما دخل وجد نسرا ضخما في غرفة الشاعر، عندها تذكر فلاسكو مرة اسر له فيها نيرودا انه ان كانت هناك حياة اخري فيتمني ان يتحول لنسر، وعندما اتصل فلاسكو بماتليد، واخبرها عما شاهده، قالت بدون تردد ذاك هو نيرودا .
في هذا اليوم، تتذكر تشيلي ابنها، وتستعيد تاريخها المفقود، حيث ستوزع سفاراتها في اكثر من ٦٥ بلدا اوسمة لعلماء وشعراء، كما ستشهد العاصمة سانتياغو استعراضات، وطائرات ترمي مناشير/ اشعار نيرودا من الجو، وهناك محاولات ليست من المناسبة الرسمية، لاستدعاء روح الشاعر، والاهم من ذلك ان تشيلي، بعد سنوات من التغيب والسجون السرية والاف القتلى والمفقودين، تستعيد اشعار صاحب اغاني الكابتن/ الجنرال ، ومعه تستعيد روحها التي فقدتها، عندما دخلت اموال سي اي ايه البلاد، وقلبتها الي جحيم كبير. يقول الباحثون في حياة واشعار نيرودا ان قوة وصدمة، وطزاجة الكلمات بالاسبانية اقوى منها عندما تترجم، ومع ذلك فروح القصيدة ولون المغامرة والرفض لا تزال حية، رطبة، وجميلة، يقرأها اتباع نيرودا في كل انحاء العالم. فقد كان الصوت الذي حمل اليهم، الظلم والرفض، والالتزام من تلك البقعة الجميلة التي احبها في امريكا اللاتينية.

اعتمدت في هذه القراءة علي الكتاب صادر حديثا عن دار بلومزبيري، في لندن بابلو نيرودا: عشق للحياة من تأليف ادام فينستين ترجمة رضا عامر

نيرودا سيرة واعمال

١٩٠٤. ولد بابلو نيرودا في ١٢ تموز في بارال في تشيلي واسمه الحقيقي نيفتالي ريكاردو راييس بازوالتو. توفيت والدته روزا بازوالتو بعد شهر من ولادته، فانتقل والده جوزيه راييس إلى منطقة تيموكو مع الطفل وتزوج بعد فترة وجيزة من تريني‌داد ماريدي التي ستصبح والدة الشاعر الثانية.

١٩١٠. دخل نيرودا إلى مدرسة تيموكو حيث أكمل دراسته حتى العام ١٩٢٠ فيها.

١٩١٧. نشر مقالة أولى في صحيفة محلية في تيموكو بعنوان "حماسة ومتابعة" موقعة باسم نيفتالي راييس.

١٩١٨. نشر أولى قصائده في مجلة "كوري فويلا دو سنتياغو" في ٣٠ تشرين الثاني وكان عنوان القصيدة "عيناي"، ثم توالت القصائد المنشورة في مجلات محلية أخرى، فحاز عن قصيدة "ليلة قمرية مثالية" جائزة شعرية سنوية.

١٩٢٠. اختار اسمه الجديد "بابلو نيرودا". وفي ٢٨ تشرين الثاني حاز جائزة "عيد الربيع" للشعر في تيموكو وعين رئيساً لـ"الأتينيه الأدبية" في المنطقة وبدأ في كتابة "الجزر الغريبة" و"التعب غير المفيد" من دون أن ينشرهما، ثم اختار قصائد من الكتابين ونشرها في كتاب أول له بعنوان "مغربي".

١٩٢١. انتقل إلى سانتياغو حيث تابع دراسة الأدب.

١٩٢٢. بدأ العمل في مجلة "كلاريداد" واستمر في كتابة الشعر.

١٩٢٣. كتب نحو الأربعين مقالة نقدية في مجلة "كلاريداد" باسم مستعار: "ساشكا".

١٩٢٤. أصدر أول ديوان له بعنوان "عشرون قصيدة حب وأغنية يائسة".

١٩٢٥. يرأس تحرير مجلة "كابالو دو باستوس" الأدبية، ويصدر له "محاولة الرجل اللانهائي".

١٩٢٧. يبدأ حياته السياسية بدخوله في السلك الديبلوماسي ويعين قنصل شرف في بيرمانيا. في ١٤ تموز، يغادر سنتياغو إلى بيونس آيرس ومنها إلى ليشبونة. وفي مدريد يبدأ بنشر قصائد جديدة.

١٩٢٨. عيّن قنصل شرف أيضاً في كولومبو، في سيلان. وعام ١٩٢٩، حضر "المؤتمر المحلي" في كالكوتا في الهند، ومنها قنصلاً أيضاً في باتايا في جاما. وفي كانون الأول، تزوج ماري أنطوانيت اجينار.

١٩٣١. انتقل إلى سنغافورة حيث عين قنصلاً فيها.

١٩٣٢. عاد إلى تشيلي بعد جولة طويلة.

١٩٣٣. نشر "إقامة على الأرض" كتب القصائد بين ١٩٢٥ و١٩٣١. في ١٣ تشرين الأول، التقى للمرة الأولى بالشاعر فريديريكو غارسيا لوركا عند بابلو روجاس باز.

١٩٣٤. عيّن قنصلاً في برشلونة. وفي مدريد، ولدت ابنته مالفا مارينا.

١٩٣٥. في ٣ شباط عيّن قنصلاً في مدريد. والشعراء الاسبان كرّموه وأوكلت إليه مهمة إدارة تحرير أفضل مجلة أدبية في اسبانيا آنذاك: "كابالو يردي بارلا بويزيه".

١٩٣٦. اندلعت الحرب الأهلية في اسبانيا. في آب، أعدم لوركا في يزنار بالقرب من غرناطة. نيرودا كتب من وحي ذلك "اسبانيا في القلب". لم يعد قنصلاً هناك فغادر إلى باريس حيث أسس مجلة "شعراء العالم" ودافع فيها عن الشعب الاسباني. انفصل عن زوجته في هذه المرحلة، ثم عاد إلى تشيلي.

١٩٣٨. صدر في باريس "اسبانيا في القلب" ترجمة لويس باروت، وقدم له الشاعر أراغون. أسس في بلده مجلة "فجر تشيلي".

١٩٤٠. كتب "نشيد تشيلي العام" الذي أصبح فيما بعد "النشيد العمومي" عين قنصلاً في مكسيكو، وكتب هناك "نشيد من أجل بوليار".

١٩٤٢. سافر إلى كوبا وكتب "أغنية حب في ستالينغراد". هذه القصيدة علقت على لافتات كبيرة فوق جدران مكسيكو. بعد أشهر، أصيب بصدمة اثر وفاة ابنته في أوروبا.

١٩٤٥. أصبح سيناتور المناطق الريفية في شمال التشيلي وفي نفس العام، حاز جائزة الأدب الوطنية في تشيلي. في ٨ تموز، حصل على عضويته في الحزب الشيوعي في بلده. سافر إلى البرازيل حيث كرم هناك وكتب "مرتفعات ماشو بيشو".

١٩٤٨. كتب مقالة بعنوان "اتهم" انتقد فيها السلطات التشيلية وبعد أن تعرض لاتهامات عديدة غادر البلاد إلى باريس.

١٩٤٩. سافر إلى روسيا حيث كرمته جمعية "الأدباء السوفيات"، ثم سافر إلى بولونيا، هنغاريا، وأخيراً المكسيك حيث رافقه إلى هناك صديقه الشاعر بول اليوار.

١٩٥٠. سافر إلى نيودلهي حيث التقى نهرو وقصائده ترجمت إلى الهندية هناك. وفي باريس، حاز "جائزة السلام الكبرى" مناصفة مع بيكاسو عن قصيدته "فليستفق الحطاب".

١٩٥٤. نشر "كل الحب" و"شعر سياسي": أنطولوجيا في الشعر العالمي في جزءين. وصدر له أيضاً "الأناشيد التمهيدية" و"الكرمة والريح".

١٩٥٥. ينتقل ليعيش مع ماتيلد أوروتيا بعد انفصاله عن دييليا ديل كاريل التي استمرت علاقته بها بضع سنوات.

١٩٥٨. صدر كتابه "مئة قصيدة حب".

١٩٦١. عودة إلى تشيلي بعد أسفار عديدة.

١٩٦٤. احتفلت "المكتبة الوطنية" في تشيلي بعيد ميلاده الستين وفي ١٢ تموز، في ذكرى مولده صدرت مجموعة "مذكرات الجزيرة السوداء" في خمسة أجزاء. ونيرودا في هذه المرحلة، عمل بقوة في الحملات الانتخابية لرئاسة الجمهورية.

١٩٦٥. قدمت له جامعة "أوكسفورد" دكتوراه شرف وكان هذا اللقب الأول الذي يأخذه كاتب أميركي. لاتيني من جامعة أوكسفورد.

١٩٦٦. يتزوج في تشيلي ماتيلد أوروتيا.

١٩٦٨. صدرت النسخة الثالثة من مجموعة أعماله الكاملة.

١٩٦٩. نشر "نهاية عالم" و"أيضاً" في ٣٠ أيلول، رشحه الحزب الشيوعي في تشيلي إلى رئاسة الجمهورية، لكنه بعد مفاوضات، ينسحب من المعركة الانتخابية.

١٩٧٠. يشارك في حملة انتخابية مناصرة لسالفادور اليندي. وبعد فوز هذا الأخير، عين نيرودا سفيراً في باريس.

١٩٧١. في ٢١ تشرين الأول، حاز نيرودا "جائزة نوبل للآداب".

١٩٧٢. بدأ كتابة "مذكرات"، وهي مذكراته الكاملة. ومن أجل كتابتها تنحى عن منصبه في باريس. في تشرين الثاني عاد إلى تشيلي حيث استقبله الشعب استقبالاً لا مثيل له.

١٩٧٣. صدر كتابه الشعري السياسي التحريضي "مدح الثورة التشيلية"، وعمل على تحذير مجتمعه في ندوات وخطابات عديدة على التنبّه من قيام حرب أهلية في تشيلي. في ١١ أيلول، أطاحت حكومة عسكرية بالسلطة وأعدم الرئيس سلفادور اليندي. في ٢٣ أيلول، وعلى أثر حزنه العميق لما جرى في البلاد، توفي الشاعر بابلو نيرودا في مستشفى سنتياغو في تشيلي. وعلم بعد فترة وجيزة على وفاته أن مجموعة عسكرية أقدمت على حرق وهدم منزله في سنتياغو وأيضاً منزله في الباريزو الذي يحتوي على كل أغراضه وأوراقه الشخصية. وفي ٢٨ تشرين الثاني، وبعد وفاته صدرت كتاباه الأخيرة ان: "الوردة المفصولة" و"البحر والأجراس".

التحرير
علي حسين

التصميم
مصطفى محمد

الاشراف اللغوي
محمد السعدي